الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيجل

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

رقم التسجيل:.....

عنوان المذكرة:

الهوية والوطن من خلال "مذكرات شاهد للقرن" "لمالك بن نبي"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: نقد عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

✍ شافية شاوي

✍ سميحة بوكحيل

إشراف:

✍ د/ خالد أقيس

اللجنة المناقشة:

د/ صلاح الدين باوية..... جامعة جيجل ..... رئيسا

د/ خـالد أقيـس ..... جامعة جيجل..... مشرفا

أ/ مختار قندوز..... جامعة جيجل..... ممتحنا

السنة الجامعية: 2018/2017م

1439/1438هـ

﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ
هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾

[التوبة: 129]

بسم الله الرحمن الرحيم

-دعـــاء-

اللهم إنا نسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا.

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا.

وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ إعتزازنا بكرامتنا.

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا، ولا باليأس إذا أخفقنا.

وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح...

"أمـــــيـن"

- شُكْر وتَقْدِير -

نحْمدُ اللّه العليَّ القَدِير ونشْكُرُه علَى تَوْفِيقِه.

نتوجهُ بجَزِيلِ الشُّكْر والعِرْفَان لأُسْتَاذَنا الدُّكْتُور " أقيس خالد" الذي لمْ يبْخَل عليَّنا بوَقْتِهَ وجُهْدِهَ فِي مُتابَعةِ هَذَا العمل فجَزَاهَ الله عنّا خَيْر الجَزّاء.

كَمَا نتوجّه بوَافِر الشُّكر والامْتِنان إلَى أعْضاءِ لجْنةِ المُناقشةِ الكِرام علَى تفضلهم بقَبُول مُناقشة هَذا العَمل المُتواضِع وتحملهم عنَاء القِراءة والمُتابعة .

كَمَا نتقَدّمُ بجزيل الشُّكر والامْتِنان إلى كُلّ مَن قدَّم لِنا يدَ العَون والمُساعدةِ فِي سبيلِ إنجاز هذِه المذكرة.

مُقدِمةٌ

مقدمـــة:

يعد موضوع السيرة الذاتية من أهم المواضيع التي استقطبت العديد من الدراسات الحديثة ذات الطبيعة الأدبية التي احتلت مكانا بارزا بين النقاد المعاصرين الذين اعتمدوا في كتاباتهم على تدوين الوقائع ، تم صياغتها في قالب سردي. فهي تعتبر من أهم المواضيع الأكثر تعبيرا وأشدها استعصاء، إذ تسعى مثل هده المواضيع إلى تسليط الضوء على بعض الجوانب التي تلامس عمق الإنسان مجسدا بتجربته الذاتية في الحياة المشكلة تشكيلا فنيا بما يتناسب ومتطلبات السرد والتخيل، فالسيرة الذاتية كثيرا ما تتداخل مع الأجناس الأدبية كالمذكرات واليوميات وغيرها...

فهي جنس يعبر فيه عن داتية المثقف،ثم الحياة الإنسانية بصورة عامة عن وجودها ومصيرها، فقد عرف هذا الجنس عدة أشكال في كتابته والعديد من التقنيات السردية.

وإذا كانت السيرة الداتية بوصفها جنسا أدبيا يصور من خلاله الكتاب واقعهم المعيش ويعالجون فيه القضايا المختلفة التي تخص حياة الناس في مجتمعاتهم،فإن السيرة الذاتية هي الصورة الحقيقية لما يسجله كتاب السير الذاتية في كتاباتهم التي تختلف حسب رؤية صاحبها للعالم من حوله، وهو الامر الذي حاولنا أن نقف عنده من خلال بحثنا هدا،وفي دراستنا لكتاب مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي الموسوم بالهوية والوطن من خلال مذكرات شاهد للقرن.

وقد وقع اختيارنا على هذا البحث لأسباب ذاتية مختلفة تعود بالأساس إلى رغبتنا في الإطلاع على ما جاء في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي التي جاءت على شكل سيرة ذاتية لحياته، وعما شاهده بالنظر إلى ما يحتله الكاتب من مكانة مهمة في الأوساط الثقافية الجزائرية.

أما السبب الموضوعي فيرجع إلى كون هذا العمل يناسب التخصص الذي نحن بصدد دراسته في الماستر.

ويسعى هذا البحث من خلال عنوانه إلى الإجابة عن الإشكالية التي يطرحها، والتي نصوغها في الأسئلة التالية:

- ✓ إلى أي مدى كانت مذكرات شاهد القرن لمالك بن نبي تمثل صورة عن الحياة السياسية والإجتماعية للجزائريين بحسب الفترة التاريخية التي تغطيها هذه الأخيرة؟
- ✓ هل كانت مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي تمثل انعكاسا لصورة الوطن المغتصب ومؤشرا مهما لمحددات ومقومات الهوية الجزائرية؟

بالنظر إلى هذه الأسئلة تم تشكيل خطة منهجية تشكلت من مقدمة وفصلين وخاتمة:

في الفصل الأول الذي عنوانه "قراءة في المصطلحات"،شكل من ثلاثة مباحث: كان المبحث الأول حول السيرة الذاتية وباقي الأجناس" تمثل المذكرات، اليوميات، الإعترافات، التاريخ"، أما المبحث الثاني فقد عالجنا فيه: "علاقة السيرة الذاتية بالأجناس الأخرى، المتمثلة في العلاقة بينها وبين المذكرات واليوميات والإعترافات والتاريخ".

أما المبحث الثالث والأخير فقد تطرقنا فيه إلى مفهوم الهوية.

وفي الفصل الثاني الذي وسمناه ب: تشكل الهوية الوطنية من خلال مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي، والذي شكل من مبحثين:

المبحث الأول: فقد تناولنا فيه تجليات الهوية الوطنية من خلال صورة الوطن "الأنا والآخر" في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي.

أما المبحث الثاني فقد عالجنا فيه: تمظهرات الهوية الثقافية الوطنية من خلال مذكرات شاهد لمالك بن نبي.

وأخيرا الخاتمة: التي جعلناها حوصلة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ولمعالجة العناصر المختلفة التي تشكلت منها خطة البحث إرتكزنا على جملة من المراجع أهمها:

- كتاب فوزية الصفار الزاوق: من المذكرات عن الذات في الأدب العربي الحديث السيرة والمذكرات نمودجا، حيث اعتمدنا عليه في تحديد المفاهيم الخاصة بالسيرة الذاتية والمذكرات واليوميات وغيرها، كما وقفنا من خلاله على الفرق بين السيرة الذاتية وبين الأجناس الأخرى التي تتداخل فيما بينها.
- وأيضا كتاب محمد صابر عبيد: تمظهرات الشكل السير ذاتي الذي عالج أيضا السيرة الذاتية والأجناس الأخرى.

بالإضافة إلى "إحسان عباس":فن السيرة و"يحيى إبراهيم عبد الدايم": الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث.

كما تناولنا أيضا: "ألكس ميكشللي" : الهوية والزمان، وتأويلات فينو مينولوجية لمسألة النحن. الذي إعتمدنا عليه في تحديد مفهوم الهوية وأيضا نور الدين آفاية: الهوية و الإختلاف في المرآة الكتابة والهامش الذي تناول أيضا مفهوم الهوية.

وكأي بحث علمي فإنه قد واجهتنا بعض الصعوبات التي يمكن أن نحددها بضيق وقت الرسالة مقارنة بضخامة حجم المذكرات وتشعب الأحداث التي غطاها مالك بن نبي من خلال هذا العمل. إضافة إلى قلة وجود المراجع المهتمة بتحديد ودقة هذا الجنس الأدبي بخصائصه الفنية والموضوعية.

أما المنهج الذي اعتمدنا عليه في هدا البحث فهو المنهج التحليلي مع الإستعانة بالمنهج الوصفي،كما اعتمدنا على ترتيب العناصر والمذكرات حسب صدورها زمنيا ، فقد قدمنا وصفا لها، ووقفنا على العناصر التي تقود إلى التجنيس ثم عرض القواعد الفنية التى يتضمنها هدا الكتاب.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر المشرف الدكتور خالد أقيس الذي رافقنا بنصائحه وتوجيهاته طيلة إعدادنا لهذا البحث كما نشكر كل فريق التدريس قسم اللغة العربية وآدابها وطاقمها الإداري.

الفَصْلُ الأولُ: قراءة في المصطلحات

المبحث الأول: في تحديد مفهوم السيرة الذاتية وباقي الأجناس

1. مفهوم السيرة.
2. مفهُوم السيرة الذاتية.
3. مفهوم المُذكـّرَات.
4. مفهوم اليوميات.
5. مفهوم الاعترافات.
6. مفهوم التاريخ.

المبحث الثاني:علاقة السيرة الذاتية بالأجناس الأخرى

1. بين السيرة الذاتية والمذكرات.
2. بين السيرة الذاتية والسيرة.
3. بين السيرة الذاتية واليوميات.
4. بين السيرة الذاتية والاعترافات.
5. بين السيرة الذاتية والتاريخ.

المبحث الثالث:حول الهـوية.

1. مفهوم الهوية
2. أنواع الهوية.

المبحث الأول: في تحديد مفهوم السيرة الذاتية وباقي الأجناس:

لقد شهد فن السيرة الذاتية تغيرات وتطورات والتباسات في الآداب العالمية عامة والعربية خاصة، فهو من أكثر الأجناس إثارة للجدل ،إذ اختلف الدارسون في كثير من تفاصيله، سواء من حيت النشأة أم من حيث المفهوم أم التصنيف والتجنيس، إذ يتناول هذا الفن حدوده في إطار الدراسة النظرية، فإذا عدنا إلى هذا الفن فسوف نجده لا يزال يستهوي الكثير من القراء بحكم طابعه البوحي أي أنه يهتم بسرد حياة شخصية مرموقة في عصر من العصور، فهذا الجنس قد دخل ساحة النقاش الأدبي وذلك حول موضوعات لا تخلو أحدها من أهميه وإذا نظرنا إلى قضية السيرة أو الترجمة فنجد أن كلتا العبارتين تدوران حول موضوع ومعنى واحد وهو تاريخ الحياة،وقد إتخد التأريخ للفرد صورا مختلفة لدى العرب،وكانت السيرة أولى هده الصور،وقصد بها حياة الرسول الكريم ومغازيه، فيما بعد تغاضت الدراسات الحديثة عن الترجمة خاصة في الآونة الاخيرة، ومن هنا شاع لفظ السيرة، لدا نرى من الضروري البحث عن الجدور اللغوية حتى يتسنى لنا الوضع لإعطاء تعريفات حول السيرة الذاتية.

1. مفهوم السيرة:

أ. السيرة لغة:

لقد تعدد مفهوم السيرة في اللغة بتعدد دارسيه ،إذ نجد أن كل دارس وتعريفه الخاص من خلال إعطاء وجهة نظره، مما أدى إلى إختلاف مفهومها، فمن هنا لابد لنا من البدء في تعريف السيرة من خلال الرجوع إلى أصلها اللغوي لها،فالسيرة في اللغة قد تجسد مفهومها حسب ابن منظور في لسان العرب بأنها «السنة والهيئة» [1] ومعناها المسلك، وطريقة الحياة، وهو تطور للأصل سير أي سلك، أو ذهب في الأرض".

[1] جمال الدين محمد مكرم الأنصاري ابن منظور: لسان العرب، مادة سير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج7،ط4، 2003،ص 317.

ويقتفي أيضا "الفيروزآبادي" على أثر إبن منظور فيعيد تعريفها بقوله: « السيرة بالكسر السنة والطريقة والهيئة... ». [1]

وأيضا تعرف في تاج العروس على أنّها السيرة والهيئة أيضًا فيقول "الزبيدي": «السيرة بالكسرة السنة وقد سارت سيرتها والسيرة الطريقة يقال سار الوالي في رعيته سيرة حسنة والسيرة الهيئة ». [2]

وإذا عدنا إلى كلمة سيرة في القرآن الكريم فنجدها قد ذكرت في قوله تعالى: «**سَنُعِيدُهَا سِيرَتُهَا الأُوْلَى**». [3]

ونجد مفهومها في شعر خالد بن زهير.

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها ***فأول راض سنة من يسيرها [4]

فالمقصود من قوله لا تغضبن من تلك السنة او الطريقة فأنت جعلتها سائرة بين الناس.

ب. السيرة في الاصطلاح:

إذا نظرنا إلى السيرة في الاصطلاح: هي بحث يقدم فيها الكاتب حياته أو حياة أحد الأعلام في إطار عصره، دون أن يلتزم بمنهج مبرزا ذلك في الأعمال التي قام بها من أحداث سواء حياته أم حياة المتحدث عنه، فيعرفها محمد التونجي بقوله على أنها : « السلوك وأسلوب حياة وترجمة، وبرز هذا المصطلح في تراجم البطولة والفروسية في العصور الإسلامية المتأخرة نوعا القصص الشعبي منها سيرة "سيف بن دي يزن" وسيرة الأميرة ذات الهمة، وسيرة "الظاهر بيبرس" وهي اليوم فن أدبي من الأجناس الأدبية التي تحكى حياة الأدباء والأعلام » [1]

---

[1] الفيروزآبادي: قاموس المحيط،تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،بيروت ،ط1 ج2،1987 ،ص05.

[2] مرتضى الزبيدي، تاج العروس: من جواهر القاموس، مادة سير ، مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان، ج1،ط1، ، ص 387.

[3] سورة طه، الآية 21.

[4] عبد العزيز شرف: آدب السيرة الذاتية ،مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان الجيزة، مصر ، ط1 ،1992، ص01. .

[1] محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية،لبنان،ج1،ط2، 536.

فالسيرة يمكن أن تكون أحداثها خيالية أو حقيقية وأيضا لا ترتبط بشرط أن تروي حياة صاحبها، أي يمكن أن تروي حياة غيرها.

كما تعني هذه اللفظة حسب "فيليب لوجون" « تاريخ أنسان مشهور عموما مروي من طرف شخص أخر أو تاريخ إنسان غامض عموما، مروي شفويا من طرف شخص أخر ». [2]

فالسيرة حسب "فيليب لوجون" تعني تاريخ إنسان يكتب هو بنفسه أو عن طريق غيره.

والسيرة حسب "محمد صابر عبيد" : « نمط سردي حكائي ينظم في فضاء زماني محدد يتولى فيه الراوي ترجمة حياة ذات خصوصية إبداعية في مجال حيوي أو معرفي فيها من العمق والفن ما يستحقه أن يروي سيقدم تجربة يمكن أن تثري القارئ وتخصب معرفته بالحياة من خلال الاطلاع عليها والإفادة منها » [3] ، فالسيرة حسب محمد صابر عبيد هي نمط سردي يترجم حياة إبداعية في مجال حيوي أو معرفي بهدف إثراء القارئ كما هي تعتمد على التنظيم الزمني المحدد.

وأيضا تقول "فوزية الصفار الزاوق" على أنها تعني : « الترجمة المأثورة لحياة النبي عليه الصلاة والسلام، لذلك نجد في مؤلف "ابن هشام" (ت. 213 هـ) عن "ابن اسحاق" (ت .150 هـ) صاحب كتاب السيرة لاستعمالها بهذا المعنى في قولهما هذا كتاب سيرة رسول اللهً [4] » أي أن السيرة هي ترجمة حياه الرسول .

فالسيرة تقسم إلى قسمين: السيرة الذاتية والسيرة الغيرية،فقال في هذا "محمد صابر عبيد": « السيرة بهذا الوضع الاصطلاحي المستقبل تمثل شكلا نظريا حسب، إذ تقسم السيرة على قسمين رئيسين هما السيرة الذاتية والسيرة الغيرية، ولا يوجد نمط سيري يسمى السيرة فقط لكن الرؤية الاصطلاحية التي تكتشف هنا خضعت

---

[2] فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ترجمة عمر علي ، المركز الثقافي العربي، لبنان،ط1، 1994، ص 10.

[3] محمد صابر عبيد: تمظهرات التشكل السير ذاتي، قراءة في تجربة محمد القيسي السير داتية ، دار الكتب الحديثة للنشر و التوزيع ،الأردن ،ص 195.

[4] فوزرية الصفار الزاوق: من الكتابات عن الذات في الأدب العربي الحديث السيرة والمذكرات نموذجا، المغاربية للطباعة والإشهار، ط1، 2003، ص17.

لمقارنة نظرية عامة من أجل تصفية الأفق النظري للولوج إلى الشكلين السيرتين المركزيتين السيرة الذاتية والغيرية »[1]

فمن هنا نلاحظ أن السيرة قد تكون ذاتية وقد تكون غيرية ولا توجد كلمة سيرة وحدها، يجب أن ترافق أحد المقاربين السيريتين.

ومن هذه التعاريف نصل إلى أن هناك خلط في وضع مفهوم السيرة وذلك تبعا لمواقف الدارسين حولها وحول نزاعاتها فنجذ في هذا:

"**النزعة الذاتية** " من ذلك أن العرب المسلمين أطلقوا لفظ ، سيرة في البدء على ما ألف عن حياة الرسول فقالوا : « سيرة النبي ». [2]

النزعة التاريخية والأخلاقية، ذلك أن المؤرخين العرب المسلمين كانوا يعدون السيرة وجها من التاريخ بل يرون أن التاريخ ليس إلا سير الحاكمين (...) نذكر منها: « سيرة عمر بن خطاب، سيرة عمر بن عبد العزيز ...» [3] فهي نابعة في جلها من التاريخ و أي كائن لا تخلوا من توجيه أخلاقي.

النزعة الأدبية : فقد أعقلها الكتاب في مختلف الأحقاب التاريخية وكأنهم لم يأبهم لها.[4]

فنجد أيضا حسب " فوزية الصفار" أن السيرة ظهرت في عصرنا بكلمة ترجمة أي أنها تواري وترادف معنى السيرة اد قالت " ثم نظفر في عصرنا بكلمة ترجمة وكأنها موازية لكلمة "سيرة ". [5]

فمن هنا ومن هذه الشواهد ضبط مفهوم السيرة في النقد الحديث في مختلف مقوماتها الفنية ،كما تبينت أنواع السير،فنجد السيرة الغيرية والسيرة الذاتية، فنتطرق من هنا إلى موضوع السيرة الذاتية فنجدها أيضا حافلة بالتعاريف من طرف الدارسين والنقاد والباحثين.

---

[1] محمد صابر عبيد، تمظهرات الشكل السرداتي، مرجع سابق، ص 195.

[2] فوزية الصفار الزاوق، من الكتابات عن الذات في الأدب العربي الحديث...، مرجع سابق، ص 20.

[3] المرجع نفسه، ص 21.

[4] المرجع نفسه، ص 22.

[5] المرجع نفسه، ص22

2. مفهوم السيرة الذاتية :

إذا تطرقنا إلى مفهوم السيرة الذاتية فنجد أن بوادره الأولى منذ القديم ،إذ نالت اهتمام الكثير من الفلاسفة والدارسين والنقاد، فالكل وضع لها تعريف خاص يتماشى مع الخلفيات المعرفية التي اعتمدتها محاولات إستكشاف وظيفة ومعنى لها، مما أدى إلى تعدد مفاهيمها وهذا ما أدى أيضا إلى صعوبة وضع مفهوم ومعنى شامل لها.

أ. السيرة الذاتية لغة :

إن المتمعن في مصطلح السيرة الذاتية يجد أنه مركب من كلمتين الأولى " Auto" بمعنى الذاتية والثانية " Biographie" ويقصد بها السيرة وأيضا تعتبر السيرة هي الطريقة والسنة أما الذات حسب "محمد التونجي": فيشير إلى « نزعة فلسفية تركز على النفس وانشغال الشخص بنفسه والكاتب بمواده.... وهي طريقة والكتابة وهي الإفصاح عن صاحبها والاهتمام بمشاعره وتجاربه الشخصية ». [1]

ب. السيرة الذاتية اصطلاحا :

لقد تعدد مصطلح السيرة الذاتية في الإصطلاح حسب تعدد الدارسين لها، فنجد تعريف قام به "كارلايل" في السيرة الذاتية: « إن السيرة الذاتية هي الحياة الإنسان». فالتعريف الذي صرح به "كارلايل" ،قد شمل السيرة الذاتية في هذا القول بأنها حياة الإنسان

أما إذا عدنا إلى التعريف الأجزائي للسيرة الذاتية فهي: « تسجيل تاريخي لحوار الفكر وحديثه المنفرد مع النص حتى ولو تجردت منها الواقعية التاريخية (...) وتبقى السيرة الذاتية ترجمة مباشرة وصغيرة شعوريا مكتوبا عن مكنونات الذات...» . [1]

---

[1] محمد التونجي ، معجم المفصل في الأدب، مرجع سابق، ص 460.

[1] رياض الجابري، السيرة الذاتية والتراث: " مقاربة نفسية" موافقة وزارة الإعلام ، منشورات دار المعارف، حمص، ط1، 1996، ص13.

ففي هذا التعريف نجد أن السيرة الذاتية تسجيل لتاريخ حياة الفرد وتفرده في حياته وعالمه المستقل، حتى يمكن للكاتب إستعادة حياته بوعي فقط ،وترجمتها كما هي من أحداث ومواقف،ويجب هنا أن يفيض عليها برداء التاريخ فيدخر الكاتب في أعماقه ويعيش مع ذاته بعيدا عن المحيط الخارجي.

ويعرفها عبد "العزيز شرف" بقوله: « فالتفسير اللغوي إذ يكشف لنا عن طبيعة السيرة الذاتية،إذ يصبح النشاط اللغوي نفسه سلوكا بشريا أساسيا يكشف عن بعد هام من أبعاد الحياة الإنسانية» . [1]

فهو هنا متعلق بالواقع المعاش لشخصية ما تتجسد في تقديم وسرد كل ما يتعلق بحياته وأفكاره وأحاسيسه وما يحيط به.

كما انطلق "فيليب لوجون" من وضع حد للسيرة الذاتية هذا الحد الذي جعلها عباره عن : « حكي استعادي نرى يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك يركز على حياته الفردية و على تاريخ شخصيته»[2] ، ويمكن أن نوضح من خلال هذا التعريف عناصره الموجودة حسب بيان "محمد بوعزّة" من خلال الجدول التالي:

شكل اللغة	الموضوع المطروق	وضعية المؤلف	وضعية السارد
حكي نثري	حياة فردية تاريخ شخصية معينة	تطابق المؤلف الذي يحيل اسمه إلى شخصية واقعية) والسارد	تطابق السارد والشخصية الرئيسية منظور استعادي للحكي[3]

[1] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص 22.

[2] فيليب لوجون، السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص 08.

[3] محمد بوعزّة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، منشورات الإختلاف، الدار العربية للعلوم، دار الأمان، الرباط، ،ط1 ،2010، ص34.

فإذا دققنا النظر في تعريف "فيليب لوجون" فسوف نجده قد قام بتصنيف ووضع حد للسيرة الذاتية حيث أنه قال بأن السيرة الذاتية لا يمكن أن تكون شعرية ومن جهة أشار إلى تقنية استرجاع أو استعادة لأحداث ماضية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالذاكرة، والتي تلعب الدور الكبير في كتابة السيرة الذاتية.

فحسب "فيليب لوجون" فإن العناصر الأربعة المشار إليها في الجدول هي بمثابة الخطوط العريضة التي تتوفر عليها السيرة الذاتية فإذا تغيب أحد العناصر لا تدخل ضمن خانة السيرة الذاتية بل ترجع شكل من الأشكال الأخرى مثل: اليوميات والمذكرات.. إلخ، فيأكد "فيليب لوجون" في هذا الصدد في قوله: « ستكون السيرة الذاتية في كل عمل يجمع في الوقت نفسه الشروط المشار إليها، في كل صنف من هذه الأصناف، ولا تجمع الانواع المشابهة للسيرة الذاتية لكل تلك الشروط ». [1] فهذه الشروط غير المحققة حسب الأنواع هي : المذكرات، السيرة، الرواية الشخصية .....فقد وضع الحد للسيرة الذاتية .

وأيضا عرفها "عبد العزيز شرف": «السيرة الذاتية ليست مجرد سرد لأعمال الكاتب وأثاره ولكنها عمل فني ينتقي وينظم ويوازي على النحو الذي يصور ذلك جميعا في عمل أدبي يترك أثره المنشود لدى المتلقي يتساوى في ذلك ما يقدمه الكاتب عن حوادث وأخبار وذكريات طفولة وشباب »[2]، فهنا يجب على الكتابة أن تستدعي إخضاع التجربة لعمليات تحويلية تتمثل في الحوادث المتفاعلة زمانا ومكانا ، وتطوير علاقة الانسان بالتاريخ .

ويقول أيضا: « السيرة الذاتية إذ تنبع من القاموس الإنساني الذي يحوي في معظم لغات السير كلمات تعبر عن الوحدة والعزلة و الانطواء والتأمل والاستبطان العقلي والضمير والوعي الفردي ».[3]

فالسيرة الذاتية يجب أن تكون فردية ،أي أن كل فرد وما يختلج في صدره ووعيه من أحاسيس.

---

[1] فيليب لوجون، السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص23.

[2] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص21.

[3] المرجع السابق، ص21.

وكتعريف آخر لعبد العزيز شرف في السيرة الذاتية على أنها : « النشاط الذهني والنشاط العقلي في حياة إنسان من خلال " نشاط لغوي" الامر الذي يجعل من السيرة الذاتية قصة حياة يرويها الآخرين وكان من طبيعة الحياة أن تتخذ طابع الرواية المسرودة أو القابلة للسرد » [1] .فالسيرة الذاتية يجب أن تستدعي النشاط العقلي والذهني وتتخذ من اللغة آداة للتواصل مع الآخرين من أجل الإفصاح عن تجربة الكاتب،كما تأخذ طابع روائي سردي أي الكاتب السردي يجب عليه أن يسرد قصة ما سواء عن حياته أو عن حياة شخص آخر لكي تنتج لديه سيرة ذاتية وذلك بعد تسليط الضوء عليها من جميع الجوانب.

كما يعرفها "فابيرو" على أنها : « عمل أدبي وبأن هذا العمل قد يكون رواية أو قصيدة أو مقالة فلسفية يعرض فيه المؤلف أفكاره ويصور أحاسيسه بشكل ضمني صريح ». [2] فالسيرة الذاتية قد تكون قصيدة أو رواية ، كما قد تكون مقالة فلسفية فهي هنا تعتبر عمل أدبي يعرض الكاتب أفكاره وأحاسيسه صراحة.

كما نجد أيضا "يحي عبد الدايم" يقول في تعريف لها: « الترجمة الذاتية الفنية هي أن يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة والإشتقاق والبناء والروح... وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل البناء محتوى وافيا كافيا عن تاريخه الشخصي على النحو موجز حامل بالتجارب والخبرات المتنوعة الخصبة وهذا الأسلوب يقوم على جمال العرض وحسن التقديم وعذوبة العبارات وحلاوة النص الأدبي ». [3]فمن خلال هذا التعريف يمكن القول أن السيرة الذاتية أو الترجمة الذاتية يجب أن تكون صورة مترابطة على أساس الوحدة والبناء والإشتقاق من خلال تحديد أسلوب قادر على إعطاء محتوى وافي عن تاريخ الشخص.

وكما نجد تعريف آخر أكثر شمولية من تعريف "فيليب لوجون"، وهو أن السيرة الذاتية هي: « حكي إستعادي نثرى تتسم بالتماسك والتسلسل في سرد الأحداث، يقوم به شخص واقعي عم وجوده الخاص، وذلك

---

[2] المرجع نفسه، ص27.

[2] شعبان عبد الحليم، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار الوراق، ط1، 2015، ص14.

[3] يحي ابراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،بيروت، ص70 .

عندما يركز على حياته الفردية وتاريخ شخصيته بصفة خاصة، و تشترط فيه أن يصرح الكاتب بأسلوب مباشر أو غير مباشر ما يكتبه هو السيرة الذاتية ». [1] فنلاحظ أن هذا التعريف قريب من تعريف "فيليب لوجون" للسيرة الذاتية وذلك بأنها فن سردي أي فن سرد فيه الكاتب كل ما يتعلق بتجربته لشخصية التي مر بها فيما مضى.

فمن هذه التعاريف التي قدمها الدارسون والنقاد نجد أن معظمهم اتفقوا على أن السيرة الذاتية هي فن أدبي نثري يسرده ويؤلفه الكاتب ويسجل كل ما يتعلق بحياته عبر مراحلها " الطفولة، الشباب، الكهولة " بأسلوب مباشر أو غير مباشر فيقول "عبد العزيز شرف" : « وتبقى السيرة الذاتية هي بمثابة استجابة نفسية لهموم تقال» [2] أي أن كاتبها يسرد كل ما يوجد داخل نفسه من أحداث.

ج . السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم:

إذا تطرقنا إلى السيرة الذاتية في القديم فسوف نلاحظ أو لمشكلة موجودة عند كل كاتب للسيرة هي : «أن الأسلاف احتجوا خلف ما كتبوا وقد يذكر أن بعض الطوائف يحتجون خلف الإعترافات التي صرحوا بها وهنا تبرز سيرة " ابن سينا" القصيرة لكن العينة لتجربتها المعرفية ». [3]فالشخص العربي كان في غرض مدح قبيلته وكان يلتزم بقرارات القبلية مهما كانت الظروف فنجد "دريد بن الصمة" يقول:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت *** غويت وأن ترشد غزية أرشد [4]

ويقول "عبد الرحمن البدوي"، « إذا لم تصلنا نصوص نثرية مكتوبة سردها إنسان عاش في العصر الجاهلي عن نفسه فذلك لأن الكتابة كانت قليلة في العصر الجاهلي» [5]

---

[1] قحطان بيرقدار، رواية السيرة الذاتية بين الواقع والمتخيل، الموقعwww.afkh.net literature :http// ،2009-01-29

[2] عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، المرجع السابق، ص10.

[3] محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، قراءة في التجربة السيرية، شعراء الحداثة العربية، عالم الكتب الحديث، أربد، العراق، ط1، 2008، ص04 .

[4] دريد بن الصمة، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، ص 577.

[5] تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوفان وجبرا ابراهيم جبرا إحسان عباس نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2002 ، ص 37.

ففي هذا القول يبرز لنا أن الكتابة في العصر الجاهلي كانت قليلة ولا يوجد اهتمام بها فالعصر الجاهلي كان يتميز بالشعر ويضعون للشاعر الجاهلي مقام كبير في القبيلة وذلك كونه يدافع عن القبيلة بشعره ولذلك وصل إلينا الشعر الجاهلي ولم يصل النثر الجاهلي فنجد في هذا القول الذي يبرز أن : «كان الشاعر الجاهلي يقام سير في القبيلة لأنه يدافع عنها بشعره ويسجل أعمالها وحروبها ولذلك قد وصل إلينا الشعر ولم يصل النثر لأن الشعر أسهل في الحفظ والتداول بين الرّواة ».[1]

فنجد الشعر أيضا استطاع أن يشمل على السيرة الذاتية، أما العصر الإسلامي فإن عمل وصل إلينا هو ما رواه "سليمان الفارسي" (ت ، 36 هـ / 656 م) عن نفسه التي ذكرها البغدادي وتعتبر أول بذرة في السيرة الذاتية في القرن الأول وبعد ذلك ظهرت مجموعة من الأعمال والقطع للسيرة الذاتية في كتاب الأغاني "الفرج الأصفهاني" ما تعلق بسيرة الشاعر الأموي "نصيب بن رباح" وغيرهم وبعد هذه الكتابات، نجد كاتب أخر تحدث وبين سيرته الذاتية وهو عيون الأشياء في طبقات الأطباء، لموقف الدين" أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة"، فقد ورد فيها سيرة "ابن إسحاق" و"ابن الهيثم" .[2] فذكر" إحسان عباس" في كتابه فن السيرة: «أن إبن الهيثم كان صريحا في سيرته إلى درجة تضر سمعته بين الناس ».[3]

كما أن "ابن الهيثم"، شغل مداول أمره باختلاف الفرق، وقد اهتدى بفطرته إلى أن الحق بين الطوائف والملل والمذاهب أنما هو طريق الوصول إليه واقتنع بأن معرفة الحق هي التي تقربه إلى ربه. [4]

ونجد أيضا في التراجم قطع من السير الذاتية معظم أدباء الياقوت الحموي، إذ يورد السيرة الذاتية: لـ"علي إبن زيد البيهقي" [5]. وأيضا رسالة "محمد بن زكريا الرازي" (ت 213 هـ) فيما كتبه عن سيرته وسلوكه

---

(1) تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوفان وجبرا إبراهيم جبرا إحسان عباس نموذجا، ، المرجع السابق ص 38.

(4) المرجع نفسه، ص 42.

(3) المرجع نفسه، ص 136.

(4) شوقي ضيف، الترجمة الشخصية، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1998، ص ص 17،18.

(5) تهاني عبد الفتاح ، السيرة الذاتية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص44.

الفلسفي، وأيضا رسالة الصديق ل"أبي حيان التوحيدي" (ت 414) فيمكن أن نعتبر أن هذه النماذج التاريخية للسير الذاتية هي النماذج الأصلية التي تخرج منها رائحة تاريخ السيرة الذاتية كما تعتبر قاعدة انطلاق في هذا الفن العريق.

د. السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث:

إذا عدنا إلى العصر الحديث فسوف نجد هذا الفن ظهر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، بعد حملة " نابوليون بونابرت" على مصر سنة 1797 الميلادية فقد سلك الحداثيون على طريقة القدماء في الترجمة لأنفسهم فنجد هذا في " وسلك المحدثون على طريقة قدمائنا في الترجمة لأنفسهم، بعد الإطلاع وإتقان من اللغات الأجنبية عند العرب" [1] نجد في هذا "محمد بن عمر التونسي" (ت 1857م) في كتابه :" تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان عام 1832م" فيحتوي في مقدمته عن سيرة المؤلف ثم تطرق إلى الوظائف التي شغل بها ثم عن رحلته إلى السودان"[2]. وأيضا نجد " رفاعة الطهطاوي" في " كتاب "تخليص باريز" فيعده الباحثون من الكتب الأساسية في فن السيرة الذاتية إذا يذكر فيه رحلته إلى فرنسا فهو يعتبر مفيدا للدارسين الذين سوف يسافرون إلى فرنسا أو إنجلترا". [3]

وأيضا ذكر "إحسان عباس" (ت 2003) في كتاب الأيام ل"طه حسين" (ت 1973 م) فهو يعتبر أول كتاب في السيرة الذاتية الحديثة فله مميزات عديدة منها قول " إحسان عباس" هو أول كتاب في السيرة الذاتية الحديثة ولا يتسابق معه كتاب أخر من أدبنا العربي وله مميزات عديدة منها: الطريقة البارعة في القصص الأسلوب الجيد، وكذلك العاطفة المكنونة والقدرة على السخرية". [4]

---

[3] شوقي ضيف، الترجمة الشخصية، مرجع سابق، ص 105.

[2] إحسان عباس ، فن السيرة ، دار صادر بيروت ط 1، 1996، ص130.

[3] تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي...، ص ص70،71.

[4] إحسان عباس، فن السيرة، مرجع سابق، ص132.

وأيضا نجد في العصر الحديث بعض النقاد الذين ينسجون ترجمتهم في نسيج قصصي من بينهم الشدياق (ت 1887م) "توفيق الحكيم" (ت 1987م) وغيرهم.

وكذلك تأثير أحمد أمين بكتاب الأيام وشيء على المنوال الذي أتبعه "طه حسين" حينما كتب سيرته الذاتية.

وأيضا "عباس محمود العقاد" (ت 1964 م) فقد كان مختلفا كل الإختلاف في كتابة سيرته الذاتية عن طريقة وأسلوب "طه حسين" و"أحمد أمين" فهو اعتمد على الأسلوب التحليلي تفسيري في كتابة مقالاته وكذلك من حيث البناء الفني أيضا كان مخالفا عنهما، وأيضا" عباس محمود العقاد" (ت 1964م) كان مختلفا في أسلوبه في كتابة سيرته الذاتية وإختلف إختلافا تاما عن طريقتي وأسلوبي "طه حسين" و"أحمد أمين"، فلدى"العقاد" أسلوبا تحليليا تفسيريا، كما تعود عليه و كتب مقالاته على هذا الأسلوب"[1] وكذلك نلاحظ فيها اختلاف البناء الفني أيضا عن طريقة "طه حسين" و"أحمد أمين"[2].

هـ. السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم:

لقد اختلف الباحثون في نشأة السيرة الذاتية عند العرب ويفترض "جورج ماي شيان" السيرة الذاتية أن هناك فكرة مقبولة من طرف كثير من الباحثين مفادها أن السيرة الذاتية ظاهرة غريبة بإمتياز غير أنه يسير إلى صعوبة الإتفاق حول زمن ظهورها استنادا على تاريخ معلوم". [3]

كما يؤكد "شوقي ضيف جورج ماي" في ذلك ويرى " أن العرب تأثروا لغيرهم، من الأمم الأخرى كاليونان خاصة الفلاسفة وقلدوهم في كتاباتهم عن أنفسهم"[4]. في حين تذكر "العيساوي" أن الترجمة نشأت عند العرب كتحسين أدبي مستقل منذ قرنيين، ويذكر "جون بيلتع" أن "روبرت شوسي" هو أول من استعمل مصطلح الترجمة الذاتية aulobigeraphy وذلك سنة 1805، وادخل فيها جميع الكتابات الشخصية التي

---

[1] تماني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 80.

[2] المرجع نفسه، ص 81.

[3] الشاوي عبد القادر، الكتابة والوجود، السيرة الذاتية في المغرب، المغرب افريقيا، د ط، 2000، ص 12.

[4] شوقي ضيف، الترجمة الشخصية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، د ط، 1998، ص 15.

تتناول وقائع حياة الكتاب بغض النظر في رغبته في تصوير نفسه"[1]. ولكن كثيرا من الباحثين العرب يختلفون مع "جورج ماي" في ذلك ومنهم " محمد عبد الغني حسن "الذي يرى أن العرب سبقوا العرب في هذا المجال بقوله:" في حين بدأ فن التراجم يظهر في إنجليترا وفرنسا بصورة ساذجة، وكانت التراجم العربية الإسلامية قد بلغت حدا من التنوع وسعة الخيال والإقتتان في موضوعات التراجم لا يقاس به بداية غير منظمة الخطر في الآداب الأوربية" ... والمؤرخ الفرنسي " ريتز" كتب مذكراته سنة 1672م والكاتب الإنجليزي "صمويل بيبس" 1703م وكيف يومياته ومذكراته التي يعدونها أول خطوة في كتابة التراجم الذاتية، وما تلاها من أنواع التراجم الأخرى [...]"[2]. ويرى "عبد الدايم" أن البدايات الأولى الحقيقية كانت عند "هيوم" 1777م و"جيبيون" 1796م واللذان كانا لهما أبلغ الأثر في تطير الترجمة الذاتية عند الغرب"[3]. كما يعتبر "ستراتشي" أبو التراجم في العصر الحديث والذي جمع بين التفسير التاريخي واللمسات الفنية"[4].

ومن الواضح أن كل أمة تأخذ عن الأمة التي قبلها، فإن كان العرب قد استفادوا من اليونان والرومان والفرس وأخذوا عنهم العلوم والمعارف والثقافات، فقد أضافوا إليه وازدادوا عليها الكثير عبر قرون من الزمن الزاهر للحضارة الإسلامية، ثم جاء الغرب في العصر الحديث وأخذوا كل ما وصل إليهم من العرب من ثقافة وحضارة وفنون وعلوم مختلفة، ثم أكملوا الطريق فظهرت فنون وعلوم مستحدثة مثلما ظهرت فنون وعلوم مستحدثة في العصور الزاهرة للعرب المسلمين.

إذا فقد إستفاد الفلاسفة العرب من الفلاسفة اليونان فقلدوهم في كتابة سيرهم الذاتية العبقرية الإسلامية في السير والتراجم، وقد ميزوا عن غيرهم في تلك الحقبة التاريخية بما يلي:

- ترتيب الأعلام المترجمة

---

(1) العيساوي ريم فدوى طوقان، نقد الذات قراءة السيرة، الدار المصرية، اللبنانية القاهرة، د ط، 1998، ص11.

(2) حسن محمد عبد الغني، التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1980م، ص 11.

(3) يحي عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث، بيروت، د ط، 1994، ص 19.

(4) حسن محمد عبد الغني، التراجم والسير، مرجع سابق، ص 13.

- تبويب موضوعات التراجم
- الترجمة لإعلان البناء
- تحقيق الوفيات والمواليد.
- الإستشهاد بآثار المترجم لهم من الشعر والنثر.
- ضبط الإعلام

ومن التراجم التي ذكرها "محمد عبد الغني حسن" صاحب التراجم والسير في التراث العربي في القرن الثامن عشر، ذلك القرن الذي تميز بالإنتاج الغزير في السير الذاتية، سيرة "جليج لويلجتون"، حياة فلسون "لسوزي"، حياة ولترسكوت للوكهارت، حياة شارلوت لمسزجايسل، والملكة فكتوريا لستراقشي، يسمارك ونابيلون لإميل ليفيح، وحياة شيلي وبيرون لأندرية مورا". [1]ولمختلف الأمر عند العرب كثيرا من قبل، حيث كانت إهتماماتهم بالسير قادرة " فالترجمة الذاتية العربية قد افتقرت إلى مثل هذا العناية منها إنها اصطلاح مستحدث" [2]

و. السيرة الذاتية في الأدب الغربي الحديث

لقد تطور فن السيرة الذاتية في العصر الحديث إذ ترجع أسباب تطوره إلى:

- تسوية الديمقراطية بين الصغير والكبير، وإختفاء تلك النظرة المقدسة للملوك، فأصبحوا يترجمون لصغيرهم وكبيرهم بعد أن كانوا يترجمون للمشاهير والحكام.
- إستحداث أساليب جديدة في فن التراجم تلائم روح العصر[3]

ومن أشهر التراجم الذاتية في أواخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين، في الأدب الإنجليزي وليم "بتلربييتس" 1939 و"جورج مور"، وفي الأدب الفرنسي اعترافات "روسو"، ويوميات إميل 1882م، وفي الأدب

[1] حسن محمد عبد الغني، التراجم والسير، مرجع سابق، ص 13.
[2] يحي عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب الغربي الحديث، مرجع سابق، ص 19.
[3] حسن محمد عبد الغني، التراجم والسير، مرجع سابق، ص 13.

الألماني (الشعر والحقيقة) لجوته، و(حول فلسفتي) ل"كارل ما سبرز" 1941م، وفي الأدب الروسي (إعترافات تولستوي) و(حوادث وأفكار ماضية) "لإسكندر هرزن"[1] وغيرها من كتب التراجم الذاتية.

ولقد ظهرت عند العرب في العصر الحديث كتب ودراسات تبحث في فن السيرة الذاتية، وتؤجل لهذا الفن وتضع له الحد المحدد.

ولقد ذكر "عبد الدايم" بعض الكتابات الغربية التي تسعى لتحديد معالم هذا الفن وأسسه وقواعده في العصر الحديث، ومنهم (آثار ويستون) و(إرنستستيوارك) اللذان ذهبا إلى الترجمة مصدرا للمعلومات النفسية للإنسان في حين اعتبر (ولادوادوت) و(رلبور كروس) و(همارولد نيكسون) و (دونالد استاوفر) أن السير الذاتية تقدم حقائق عن تاريخ الإنسان، ثم تعرض لما كتب في القرن العشرين حول السيرة الذاتية مثل (تراك واديسون)سنة 1916م و (كتب ابرايت) سنة 1943م و(شوميكر) و(أزين) عام 1960، ويرى أن هذه الدراسات تساعد في تحديد ملامح هذا الفن إلا أنها " لا تمنحنا التحديد النهائي لأسس البناء الفني أو المفهوم المستقر"[2]

3.مفهوم المذكرات:

إذا عدنا إلى الموضوع المتعلق بكتابة السيرة نجده أصبح غرضا واسعا للبحث العلمي وميدانا للنقد الأدبي لأن الباحثين قد إنطلقوا في كتابة السيرة إلى النظر في كتابة الترجمة الذاتية (السيرة الذاتية) وصولا إلى الكتابة في الأجناس الأخرى المتفرقة عنها فنجد المذكرات واليوميات والاعترافات.

فالمذكرات تاريخها بعيد المدى في الزمن لكنها ظهرت بكثرة مند القرن السابع عشر، فإذا عدنا إلى مفهوم المذكرات فنجد لها عدة تعاريف، فمن هذا الاشكال نقف على ما يصطلح نقديا بمصطلحها.

---

[1] يحي عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص 20، 21.

[1] المرجع السابق، ص 21.

إذا نظرنا في مصطلح المذكرات فسوف نلاحظ أنه جنس أدبي سابق لجنس الترجمة الذاتية، فلقد ظهرت هذه الكلمة في اللغات الأجنبية قبل ظهور الترجمة الذاتية بعدة قرون إذ عنى بها الباحث "فيليب لوجون" منذ صدور الطبعة الأولى من كتابه الشهير " الترجمة الذاتية في فرنسا" ، وأيضا " جورج ماي" " السيرة الذاتية" وضع له فصلا جيدا عنوانه " السيرة الذاتية والمذكرات " تم الباحث فوسدورف فقام بإنشاء فصلا مفيدا معنون ب الترجمة الذاتية والمذكرات" ويمكن أن نعرف المذكرات بأنها « سجل لأحداث خارجية أكثر من تقديم تحليل ذاتي فيها يصطلح الكاتب بالأخبار عما شاهد أوسع أو عما أتى من فعل أو قال من كلام ». [1]أي أن المذكرات لها فعالية جوهرية في تسجيل الأحداث الواقعة لدى الإنسان (الكاتب) ويروم إلى التفسير ثم التعبير بالكلام

فهي عبارة أيضا عن مدونات خاصة حيث قيل في هذا : « والمذكرات مدونات خاصة لها قوة الوثيقة المرتبطة بزمن معين ثابت لا يمكن تعديله وهي أجزاء هامة من حياة إنسان في ماضيه الذاتي، ولذا تبقى ذا واقع خاص وخطير كما يراها صاحبها، وتستحق أن تسجل لتبقى له تاريخا مهما ولتبقى لأولاده وجيله ذخرا تراثيا ذا وتوق ممتاز». [2]فنجد أن المذكرات مرتبطة بزمن ثابت ومعين وهي جزء هام في حياة الإنسان كما أنها سجل تاريخي لأحداث وموضوعات حدثث له.

والمذكرات :« "Mémoire" هي كما يدل على ذلك الإسم مجموعة ملاحظات تهدف إلى الحفاظ على أثر ما أو بيان كلفة تحتفظ أوائل إنتاج هذا النوع بضمان هذه الوثيقة الأولى، مذكرات تاريخية، علمية، قانونية،....إلخ وقد أمكن تحديدها على أنها علاقات بين وقائع وأحداث خاصة تخدم التاريخ» .[3] أي أن المذكرات دالة على مجموعة من الملاحظات والهدف منها الحفاظ على شيء أو تاريخ أو أثر ما، كما أنها عبارة عن علاقات بين الواقع والأحداث التي بدورها تخدم التاريخ.

---

[1] فوزية الصفار الزاوق، من الكتابات عن الذات في الأدب العربي الحديث السيرة والمذكرات، ص 120.

[2] رياض الجابري، السيرة الذاتية والتراث، ص 39.

[3] بول أزون وآخرون، معجم المصطلحات الأدبية ترجمة محمود مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان ،ط1 ،2012 ، ص 1016.

فمن هنا نجد أن المذكرات تعود إلى الطابع الفني والطابع الجمالي الذي يشكل أدبية الأدب، وأيضا يعد مفهوم لكل العصور، تعني نظرة إلى الوراء أو خارج النفس وذلك قصد البحث حول حقيقة زمنية وتسلسل الأحداث.

و المذكرات: «هي قصص حياة أو شهادة عن حدث يتطلب بالضرورة فكرة عن تطور الماضي ومنظورا عن تجربة متنامية وليس دوريا أو مكررا حتى يسمح بمساحة تقطع، سواء كانت داخلية أم خارجية لدى الشخص الذي يفكر به.... » [1]أي أن المذكرات عبارة عن قصص وشهادات عن أحداث جرت في الماضي، وقد تكون نظرة عن تجربة داخلية أو خارجية لدى شخص مفكر أو الشخص الذي يفكر به.

4. مفهوم اليوميات:

تعتبر اليوميات وجها من وجوه السيرة الذاتية، فنجد بوادر الإهتمام بكتابتها في أوائل القرن السابع عشر، فالنص في هذا النوع من السير يسيطر عليه هاجس إرادي في إعادة النص إلى الحياة أو التاريخ ما .

فتعرف اليوميات على أنها « وجه من وجوه الترجمة الذاتية يكتبها صاحبها يوما بيوم» [2] فإذا عمقنا النظرة في هذا التعريف فسوف نلاحظ أن كتاب اليوميات يصوغون ملاحظات حسب النظام الذي وقعت فيه الأحداث التي شهدها والتي بلغت إليه فهي تدوين لصاحبها من أشياء وذكريات، وما حصل له في فترة قصيرة فصلته عن التدوين لأنه يكتب يوميا بانتظام.

ونجد "أندري جيد": في اليوميات يقول: «إن مدار اليوميات الخاصة على تسجيل الماضي القريب » [3] أي أن اليوميات لا يمكن أن تكون فترة التدوين طويلة المدى فهي تعتمد في التسجيل أي تسجيل الأحداث والوقائع في الماضي القريب.

---

[1] نخبة من أساتذة الأدب والأنواع الأدبية ، ترجمة طاهر حجار، دار طالس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق سوريا، ط 1، 1985، ص 233، 234.

[2] فوزية الصفار الزاوق، من الكتابات عن الذات في الأدب العربي الحديث السيرة والمذكرات، مرجع سابق، ص 111.

[3] المرجع نفسه، ص 112.

كما يعرفها "محمد صابر عبيد":« سرد سيري يخضع خضوعا كاملا لسلطة الزمن اليومي ويتقيد كتابيا بالظروف الزمانية والنفسية والاجتماعية». [1] فاليوميات من هذا التعريف نجدها خاصة بالظروف الزمانية والنفسية والاجتماعية وهي خاصة باليوم الذي تسجلت فيه الأحداث، كمات نجد عبارة عن حدث واحد أو عدة أحداث تكون ذات طابع حكائي ووصفي، كما يمكن أن تكون مكثفة بالملاحظات والبرقيات.

ويرى " العقاد" في اليوميات أيضا على أنها : «يجب أن لا تفهم علىً أنها بنت يومها بل بنت ساعتها ولحظتها ولكنها مجرد مناسبات عارضة للكلام في موضوع غير عارض» .[2] فالملاحظ لهذا التعريف يرى أن اليوميات يجب أن تكتب في لحظتها وساعتها وأيضا ليست لها أهمية في أي مجال فهي لا تخدم مصالح أي شخص فهي متعلقة بكاتب يومياته فقط.

5 .مفهوم الإعترافات:

إن الاعترافات في اللغة: «هو الإقرار بالخطأ والإنحراف عن السلوك السوي، غايته ووظيفته هو محاولة تخفيف الشعور بالنفس والتخلص وتبكيت الضمير الذي يثقل كتف صاحبه». [3]

فإذا عدنا إلى هذا الموضوع فنجده بدأ في القديم إذ انها كانت تتحدى الاعتراف الديني والمسيحي فدية الغفران وسبيل إلى التربية فلما المعترف يعترف بخطئه إلى رجل دين أو الاعتراف على الورق، فالاعترافات في الاصطلاح هي: « سرد نثري استعادي يدفع فيه الراوي الذاتي (....) يروي فيها الكاتب مثالب شخصية وأخطاءها وخطاياها وسلبياتها بأسلوب اعترافي صريح من دون مبالاة للمواضعات الاجتماعية والقيم الاخلاقية ».[4]أي أن الاعترافات تكون بسرد الكاتب أو الشخص لأخطائه وذلك عن طريق الاعتراف الذي يضعه في موقف وموضع اجتماعي محرج.

---

[1] محمد صابر عبيد، تمظهرات الشكل السرداتي، مرجع سابق، ص219.

[2] فوزية الصفار الزاوق، من الكتابات عن الذات في الأدب العربي الحديث..، مرجع سابق، ص 113.

[3] رياض الجابري، السيرة الذاتية والتراث...، مرجع سابق، ص42.

[4] محمد الصابر عبيد، تمظهرات الشكل السرداتي، مرجع سابق، ص 217.

وأيضا نجد إعترافات القديس "أوغستين" نصا معبرا فيه بقوله: «بؤس المذنب ونشوة التائب النصوح" فيقول مخاطبا الله: "لمن تراني أروي هذه الوقائع؟ لست أرويها لك يا رب، ولكن أتوجه إلى الجنس البشري الذي انتمي إليه (....) ولماذا أقص ما أقص؟ أني أفعل ذلك حتى أقيس عمق الهاوية التي تتصاعد منها أصواتا إليك فأي شيء أدنى إلى سمعك من قلب تائب أو حياة أنفقها صاحبها في طاعتك ». [3]

وعند العودة إلى رصد الاعترافات والاعتراف بأي شيء أو الاعتراف بالخطيئة فسوف يكتب في ضمير المتكلم إذ قال في هذا " بول جاك روسو" في القرن ال18 " أني أنشيء مشروعا لا مثيل له منذ القديم الزمان أريد أن أعرض على الناس أناسا بتمام حقيقته الطبيعية، وهذا الانسان هو أنا ، أنا لا شريك لي،(....) لأرفع صوتي قائلا: «هذه أعمالي التي قدمتها وهذه آرائي التي التزمت بها وها أنا في هذا السجل كما عشت في الحياة الدنيا....» [1]

فالإعترافات عبارة عن الإدلال بالحقيقة المطلقة، سواء كانت محرجة تؤدي بصاحبها إلى الاحراج أو إلى العقوبة أو الاعتراف باي شيء فهي خاصة بصاحبها وبنفسيته.

.مفهوم التاريخ:

يعتبر المنهج التاريخي من أهم المناهج النقدية التي تكتسي أهمية بالغة في الدراسات الأدبية باعتبارها طرق وأساليب يتناولها الناقد في أعماله، فجعلوا التاريخ مجال إهتماماتهم اللغوية لذلك أأتخذ الإتجاه التاريخي لدراسة من طرف النقاد والأدباء.

أ. لغة:

يعرفه ابن منظور في معجمه "لسان العرب" إنه من « مادة أرخ، والتاريخ أي تعريف الوقت والتوريخ من له، وقيل إن التأريخ مأخوذة منه كأنه شيء حدث كما يحدث الولد، وقيل التاريخ مأخوذة منه لأنه حدث، وقالوا

[3] فوزية الصفار الزاوق، من الكتابات عن الذات في الأدب العربي الحديث...، مرجع سابق، ص 115.

[1] المرجع السابق، ص 116.

من الأرخ ولد النقد، أرخت أرخا وأرخ إلى مكانه يأرخ أروخا من إليه، وقد قيل إن الأرخ من البقر مشتق من ذلك لحنينه إلى مكان ومأواه» [2] .

ب. إصطلاحا:

إذا نطرق إلى التاريخ في الإصطلاح فسوف تقف عند تعريف "ابن خلدون" فقد عرفت في كتابة المقدمة فقال: « العم أن فن التاريخ عزيز المذهب قيم الفائدة، شريف الغاية، إذ هو يوقعنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرتهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرون في أحوال الدين والدنيا»، فالتاريخ هو تبين أحوال و من سيقونا من الأجيال، ويقوم على الاسترداد وقائع وأحداث الماضي، ووصفها وتسجيلها وتحليلها وتفسيرها على أساس منهجية علمية دقيقة، يقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل. [1]

[2] محمد بن مكرم الأنصاري إبن منظور، لسان العرب، مجلد الثاني، دار الفكر، بيروت، ط3، سنة 1994، ص54.

[1] ابن خلدون، تحقيق حامد احمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط1، سنة 2004، ص 21.

المبحث الثاني:علاقة السيرة الذاتية بالأجناس الاخرى:

1. بين السيرة الذاتية والمذكرات:

إذا نظرنا إلى المذكرات فسوف نجدها نوع من أنواع الكتابة التاريخية ولها صلة وثيقة بالسيرة الذاتية من حيث التداخل كما نجدها تختلف في أوجه أخرى (وجهات نظر أخرى).

وهنا نتطرق إلى الترجمة الذاتية أو" السيرة الذاتية " وعلاقتها بالمذكرات ،فهي في تداخل تام بالنسبة للكاتب إذ قيل في هذا: « الحق أن الحدود الفاصلة بين جنس المذكرات وجنس الترجمة الذاتية كثيرا ما يندثر فيتدخل كاتب المذكرات أحيانا فيما يكتب حتى كأنه ينقلب منشأ لترجمة ذاتية أما صاحب الترجمة الذاتية فتطفوا على سطح ذاكرته الأحداث العامة ليصبح كأنه مدون لتلك الأحداث». [1] أي أن كاتب المذكرات كثيرا ما يتداخل مع السيرة الذاتية فيصبح منشأ لها وأيضا الكاتب السير ذاتي يصبح كأنه مدون للمذكرات من حين تذكر الأحداث.

و على الكاتب السير ذاتي أن يكون له مذكرات أو يوميات تساعده على تذكر الأحداث فنجد:«أن مادة السيرة الذاتية لا تختلف عن مادة المذكرات أو اليوميات بل على العكس فمن المستحب أن يكون لصاحب السيرة الذاتية مذكرات أو يوميات تعينه عند كتابة سيرته على تذكر الأحداث التي مرت به قديما» [2].

أي أن المذكرات هي أفضل مساعد للسيرة الذاتية من حيث الإكتمال التي تضمن له الترتيب والتسلسل الزمني للأحداث والوقائع.

كما نجد أن المذكرات قد تصبح ضربا من التأريخ مثلها مثل السيرة الذاتية ، ويظهر هذا في القول: « من الطريف أيضا أن سرد الأحداث الخارجية في المذكرات قد يصبح ضربا من التاريخ، وقد يتداخلها كذلك الترجمة

---

[1] فوزية الصفار الزاوق، من الكتابات عن الذات في الأدب العربي الحديث...، مرجع سابق، ص 121.

[2] تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي...،مرجع سابق، ص 14.

الذاتية ولعل أبرع صفات المذكرات هي التي يتقاطع فيها التأريخ وأدب الترجمة الذاتية». [1]أي أن السيرة الذاتية والمذكرات لديهما علاقة تداخل من حيث التاريخ فكلاهما يعتمد في سرد الأحداث على التاريخ ،حيث قيل أيضا: « لا يمنح حصول الكثير من التداخلات أو التقاطعات أو الالتحامات بين السيرة بنمطيها والمذكرات» فهذا دال على أن السيرة الذاتية والمذكرات لها علاقة تداخل والتحام فيما بينهما.

فمن الباحثين يرى أن من الخطأ أن يندمج صاحب السيرة الذاتية مع صاحب المذكرات فنجد هذا في القول: « ألا أن من الباحثين من يرى أنه من الخطأ أن يتناول كاتب المذكرات الأحداث بصفته مؤرخا،لأنه بذلك يقحم نفسه في موقف قد يؤدي به إلى تزييف الحقائق».[2] فكاتب المذكرات ليس له الحق في سرد الأحداث الخارجية معتمدا على التاريخ وقد يعود السبب في تلك في ذلك إلى إقحام نفسه في مواقف تؤدي به إلى التزييف والخلط.

أيضا يكون الراوي: « أكثر حرية فيسرد المرويات وأفعال أخرى على النحو الذي يطابق سياستها وغايتها المرجوة قياسا على تلك الحرية التي يتمتع فيها الراوي السيرذاتي والغيري ». [3]فالراوي المذكراتي باستطاعته التحكم في السرد كما يشاء على خلاف الراوي سواءا السير ذاتي أو الغيري ،فالسيرة الذاتية أو الكاتب السيرذاتي قد يخضع لإشترطات فنية وموضوعية مخالفة لما في المذكرات .

وأيضا المذكرات قد تكون ذاتية وقد تكون غيرية، « يمكن للمذكرات أن تكون ذاتية ويمكن أن تكون غيرية ولا تكون فيها عملية الاسترجاع طويلة ومتكاملة لما هو الحال في السيرة الذاتية، بل يجب أن تكون قصيرة».[4]فالمذكرات تخلف أيضا عن السيرة الذاتية من حيث عملية الإسترجاع ،إذ أن المذكرات لا تكون عملية الإسترجاع فيها طويلة على خلاف السيرة الذاتية.

---

[1] محمد صابر عبيد، تمظهرات الشكل السيرذاتي، مرجع سابق، ص218.

[2] فوزية الصفار الزاوق، من الكتابات عن الذات في الأدب العربي الحديث...، مرجع سابق، ص121.

[3] محمد صابر عبيد، تمظهرات الشكل السيرذاتي، مرجع سابق، ص218.

[4] المرجع السابق، ص218.

والسيرة الذاتية تروي وتركز على الأحداث الشخصية أما في جنس المذكرات العكس : « السيرة الذاتية على خلاف المذكرات تروي أحداثا شخصية وتنأى عن سرد الأحداث العامة في حين تركز المذكرات عادة على تدوين الأحداث دون التعليق على حياة الشخصية لكاتب المذكرات » .[1] فالمذكرات من هذا المنظور تركز على كل الأحداث عامة على خلاف السيرة الذاتية فهي تركز على شخصية ما.

المذكرات أو كاتب المذكرات يهتم برصد الأحداث على خلافة السيرة الذاتية :«المذكرات تهتم مضامينها برصد الأحداث وتسجيلها ويعنى كاتبها بتصوير الأحداث التاريخية أكثر من اعتنائه بواقعه الذاتي » [2].فالمذكرات من هذا الإتجاه تهتم برصد الأحداث وتسجيلها أكثر من تركيزها بالواقع الذاتي، كما نجد أن المذكرات تكمن في إعادة بناء الواقع أكثر من إتجاهها إلى البناء الشخصاني للكاتب الذي نجده في السيرة الذاتية و السيرة الغيرية.

إن يقتضي هذا الأخير إلزاما بجدور الشخصية في الخصوصية والخروج إلى الأحداث والموضوعات وأما في المذكرات يكون الراوي أكثر حرية في سرد المرويات وإغفال أخرى على النحو الذي يتطابق مع سياستها قياسا بتلك الحرية التي يتمتع بها الراوي السيري، فنجد هذا في قول: «إن المذكرات هي إعادة بناء لواقع غابت تفاصيله أثناء الكتابة واتجاهها إلى التاريخ والأحداث والموضوعات والقضايا أكثر من اتجاهها إلى البناء الشخصاني للراوي كما هو الحال في السير الذاتية والغيرية(....) وفي المذكرات يكون الراوي أكثر حرية في سرد المرويات ويقال أخرى(....) قياسا بتلك الحرية التي يتمتع بها الراوي السيري » [3]. فمن هذا نلاحظ أن المذكرات تخضع للاشتراطات موضوعية وفنية معينة من خلال الأحداث المتعلقة بعملية الاسترجاع التي تطول في الكتابة السيرذاتية....

---

[1] عبد العزيز شويط، مؤثرات المهجري في أدب السيرة والمذكرات عند الامير عبد القادر الجزائري، مجلة أفاق للعلوم ، جامعة زيان عاشور، الجلفة، العدد السابع، مارس 2017، ص03.

[2] المرجع نفسه، ص 3.

[3] محمد صابر عبيد، تمظهرات الشكل السيرداتي ، مرجع سابق ص 131.

فمن خلال هذه الإختلافات والتداخلات نلاحظ أن العلاقة بين السيرة الذاتية والمذكرات علاقة غامضة وتدخل في الخلط فيما بينهما ولهذا لم يعطى إلى حد الآن تباين صحيح بينهما ولا تزال غائمة وهمية.

2 .بين السيرة الذاتية والسيرة:

إذا نظرنا إلى السيرة الذاتية فسوف نجدها تختلف عن السيرة في كثير من الأوجه إد أن كاتب السيرة الذاتية لا يزال على قيد الحياة ،أما كاتب السيرة فيكون محمولا في موضوعه.

كما أن السيرة بنزعة تاريخية لا تخلو من الموضوعية إذ نجد هذا في القول: «وتختلف السيرة الذاتية عن السيرة في أكثر من وجه، فموضوع السيرة الذاتية وكاتبها لا يزال على قيد الحياة يظل مطروحا في حين كاتب السيرة في موضوعه ويقول الكلمة الفصل كما تتسم كتابة السيرة بنزعة تاريخية لا تخلو من موضوعية لأن المواد التي يستعملها كاتب السيرة شأنها شأن المواد التي يستعملها المؤرخ منفصلة عن الذات الكاتبة في حين يمنح كاتب السيرة الذاتية من نوعه الذاتي والشخصي المتمثل في ذكرياته الخاصة فتحيي الكتابة معرفة في الأنا سابحة في الذات» [1]أي أن السيرة تعتمد في الكتابة التاريخية شأنها شأن المؤرخ ،فتكون منفصلة عن الذات على عكس الذاتية فهي ذاتية شخصه تتمثل في مختلف الذكريات التي يتميز بها كاتب السيرة الذاتية.

وأيضا كاتب السيرة يكون مدون لحياة شخصية أدبية أو فكرية أو سياسية معتمدا على الدليل القاطع على أنه عاش تلك الحياة، أما السيرة الذاتية فهو يسعى إلى توثيق حياة ماضية وإخراجها من النسيان والإهمال وأيضا يجب على كاتب السيرة أن يكون منسجما إنسجاما فكريا إذ أنه لا يعيش الزمن الذي يعيشه كاتب السيرة الذاتية، فنجد هذا في أن : «كاتب السيرة الذاتية وهو يكتب سيرته يظل يسبح عكس مجرى حياته، إذ

[1] عبد العزيز شويط، مؤثرات المهجري في أدب السيرة والمذكرات عند الامير عبد القادر الجزائري،مرجع سابق، ص 04.

يعود إلى الماضي البعيد و أمواج الحاضر المتلاطمة تعترض سبيله في حين يظل كاتب السيرة قادرا على ترتيب حياة صاحب السيرة ويخضعها لمعايير موضوعية تفصل بين المراحل وتزيح المواجهة بين الماضي والحاضر». [1]

فكانت السيرة الذاتية باستطاعتها العودة إلى الماضي البعيد كما يمكنه من الإحتفاظ بالحاضر الذي يعترضه، فهو قادر على تجسيد حياة صاحب السيرة كما يريد ترتيبها هو ،كما يمكنه وضعها على حسب المعايير الحياتية.

3. بين السيرة الذاتية واليوميات:

إذا نظرنا أيضا إلى العلاقة بين السيرة الذاتية واليوميات فسوف نجد السيرة الذاتية أعرق من اليوميات، فالسيرة الذاتية إرتباطها يكون محدود بفترة من حياة الكاتب على عكس اليوميات فهي مرتبطة بالماضي القريب على الرغم أنهما يسلكان اتجاها زمنيا واحد، إذ أنهما ينطلقان من الحاضر إلى الماضي وتكون السيرة الذاتية أوسع من اليوميات فقيل: «ولكن تلك الجنسان اتجاها زمنيا واحدا ينطلقان من الحاضر إلى الماضي ومن لحظة الكتابة إلى لحظة التجربة فإن الساحة الزمنية التي تفصل من زمن الكتابة وزمن التجربة تكون في السيرة الذاتية أوسع منها في اليوميات». [2] فاليوميات تختلف عن السيرة الذاتية من حيت فترة التدوين إذ أن اليوميات ترتبط بالماضي القريب على عكس السيرة الذاتية.

فاليوميات تمتاز بالدقة وذلك بسبب قرب لحظة التدوين من لحظة التجربة على عكس السيرة الذاتية فهي تمتاز بالتشويش و الإضطراب فقيل في هذا : «فالإحالة المرجعية في اليوميات تمتاز بالدقة نظرا لقرب لحظة التدوين من لحظة التجربة في حين تتعرض الإحالة المرجعية في السيرة الذاتية إلى ضرب من التشويش والإضطراب فلا سلاح لكاتب السيرة الذاتية سوى ذاكرته ولذاكرة معرضة لآفة النسيان» [3].

---

[1] المرجع السابق ، ص 04.

[2] المرجع نفسه، ص04.

[3] يحي عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 15.

أن النظر إلى التداخل الحاصل بين السيرة الذاتية واليوميات فنجده يبرز من خلال بعض الآراء التي أدلى بها بعض الأدباء او النقاد فنجد في هذا القول: «إن مادة السيرة الذاتية لا تختل عن مادة المذكرات أو اليوميات بل على العكس فمن المستحب أن يكون لصاحب السيرة الذاتية مذكرات أو يوميات تعنيه عند كتابه بسرقة على الأحداث التي مر بها قديما... ». [1] فالسيرة الذاتية في هذا القول تتداخل مع المذكرات كما أنها تتداخل مع اليوميات ومن المستحب أن يكون للكاتب أو المؤلف السيرداتي يوميات تكون المعين له في سرد أحداثه القديمة.

4. بين السيرة الذاتية والاعترافات:

عند الحديث عن العلاقة الموجودة بين كلا من السيرة الذاتية والاعترافات بغض النظر عن بعض من أجناس الأدب الأخرى التي تطرح في هذا الإطار صلتها بما يعرف بالاعترافات التي يدفع فيها صاحبها بطريقة سردية إستعادية إلى منطقة مثيرة وحساسة وخطيرة في السيرة الذاتية، إذ يروي فيها مثال شخصية وأخطائها وخطاياها وسلبياتها بأسلوب اعترافي صريح فمن هذا يمكن أن نقول : «أن السرد الإعترافي هو سرد سيرذاتي يتقصد الإثارة والنقد اللاذع وتعرية الذات، مما يجعله يدور على المستوى النوعي في فلك السيرة الذاتية إلا أن الإحتكام على الميثاق الذي يحدده الكاتب في وصف مرويه الذاتي هو الذي يحدد النوع السيرذاتي بين الاعترافات والسيرة الذاتية». [2]

فهذا فضلا عما يؤطر هذه النصوص من إيضاحات تعمل على تبيين الفروق القائمة بين كل من السيرة الذاتية والاعترافات.

5 . بين السيرة الذاتية والتاريخ:

لقد نشأت السيرة الذاتية وترعرعت في أحضان التاريخ، إذ أنها تتحدث عن شخصية منذ ولادته وحتى وفاته، وإذا رجعنا إلى تعريف "لوجون" نلاحظ أنه لم يغفل قضية التاريخ، لأن صاحب السيرة الذاتية يتحدث في

[1] تماني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي.....، ص 14.

[2] محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية، مرجع سابق، ص 131.

سيرته عن تاريخ حياته الشخصية.

فيؤكد "إحسان عباس" هذه العلاقة يقول: «كلها كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وأعماله المتصلة بالأحداث العامة، أو منعكسة مذهبا، أو متناثرة بها، فإن السيرة في هذا الوضع، تحقق غاية تاريخية» [1] أي أن لتحقيق الغاية التاريخية وجب على السيرة أن تتحقق وتعرض مختلف العمال المتصلة بها أو تعكسها، إلا أن" إحسان عباس" يضيف شيئا آخر وهو: «وكلما كانت السيرة تجتزئ بالتفرد، وتفصله عن مجتمعه، وتجعله الحقيقة الوحيدة الكبرى، وتنظر إلى كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة، فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة» [2] أي أن صلة السيرة الذاتية بالتاريخ تكون ضعيفة كلما كانت تتميز بالتفرد والفصل بين المجتمع.

ومن الأدلة الدالة على إيصال السيرة الذاتية والتاريخ أن السيرة بنوعيها الذاتية والغيرية، في كثير من الأحيان تكون تأريخا لحياة شعب ما، بل أنه يمكن من خلال تتبع التاريخ في تلك السير رسم صورة واضحة المعالم في تاريخ الأمة في تلك الحقبة الزمنية، ومن أمثلة ذلك، ما ورد في سيرة "حنا إبراهيم" (شاب لم يتعرب)، فهو يؤرخ فيها لحرب 1948م، وكذلك لحرب 1967، وفيها رسم أيضا صورة واضحة لليهود في تلك الحقبة، وكذلك نجد الأمر نفسه في كتاب "مريد البرغوتي (رأيت رام الله، إذ أنه يورخ فيها لحرب 1967، وما يؤكد ارتباط السيرة الذاتية بالتاريخ ما قاله "أحمد أمين" في كتابه، "حياتي": «لماذا إذن لا أؤرخ حياتي لعلها تصور جانبا من جوانب جيلنا وتصف نمطا من أنماط حياتنا، ولعلها تفيد اليوم قارئا وتعين غدا مؤرخا فقد عينت أن أصف ما حولي مؤثرا في نفسي متأثرا مما حولي» [3] فالتاريخ هو تصوير لحياة شخص ما مبررا جانب من جوانب حياته التي تتجسد في سيرة حياته لتقديمها إلى قارئها للإستفادة منها في يوم من الأيام أو عصر من العصور.

إذا كانت السيرة الذاتية تشبه التاريخ من حيث وجوب تحري الصدق والترامة، ومن حيث وجود أشخاص

---

[1] إحسان عباس، فن السيرة، دار الثقافة بيروت، ط 2، 1956، ص 11.

[2] المرجع نفسه ، ص 11.

[3] أحمد أمين، حياتي، مكتبة النهضة المصرية، ط6، مصر، 1978، ص 7.

حقيقيين، فإنها تختلف عنه في أمورا همها أدلى بها "عمر منير":« إننا نعتقد أن فارق جوهريا بين السيرة الذاتية والتاريخ يظهر بشكل جلي من خلال ما هو مركزي في اهتمام كل منهما، فإن كان التاريخ بدون إعادة الأحداث والوقائع (....) فإن السيرة الذاتية تهتم بتدوين التاريخ الذاتي / الإجتماعي» [1] أي أن التاريخ يهتم بتدوين الأحداث على خلاف السيرة الذاتية فهي تهتم بالتاريخ الذاتي.

[1] إدلبي عمر منير، الموقف الأدبي، مسارات التعاليق (السيرة الذاتية/ التاريخ/ الشعر) 471، 472، دمشق، سوريا، تموز 1210، ص 09.

المبحث الثالث: حول الهوية:

1 .مفهوم الهوية:

لقد ظهر مفهوم الهوية لأول مرة في المنطق الأرسطي الذي تم توظيفه منذ ذلك الحين في الكثير من السياقات العلمية والمنطقية والرياضية والفلسفية فنجد المنطق الأرسطي هو الذي فتح المجال الفكري حول مفهوم الهوية، وذلك وفق منظوره المنطقي والرياضي، فهو يعبر عن الهوية بعدة تعابير مثل: أ هو أ ، أ = أ ، هو هو ، الشيء نفسه...

فمن هنا بدأت أول الإرهاصات حول هذا المصطلح، فتعددت المواضيع حول مسألة الهوية، مما أثار الحيرة والقلق لدى الباحثين والدارسين في شتى المجالات الأدبية الفلسفية والنفسية والاجتماعية والتاريخية والمعرفية، وحتى السياسية في تختلف في الإستعمال بإختلاف المجال الذي يدرس فيها وتخضع في تعريفها إلى العلم الذي يبحث فيها أيضا وأن لكل علم تعريف خاص به بعيد عن العلم الآخر وأيضا نجد الهوية لم تشهد أي اهتمام من قبل الباحثين حتى مطلع التسعينيات من القرن، فظهر الإهتمام بها في الكثير من المؤلفات والأبحاث والأنشطة، فكانت تطرح السؤال حول الهوية، فهي تعد من المسائل التي طرح ووقع حولها الجدل والإلتباس وكثر حولها البحث خلال السنوات الأخيرة حتى دخلت ساحة البحث الأدبي، وصارت كثيرة التداول، ومن هنا يصعب إعطاء تعريف شامل لها وظلت مصطلحا يطلب ويريد التجديد والتنوع في المعنى.

أ. **الهوية لغة:**

إذا نظرنا إلى الهوية من المنظور اللغوي فسوف نجدها متعددة التعريفات ، وأيضا تعددت المعاجم التي درست هذا المصطلح كما تعددت الدراسات اللغوية حوله، فيرد مفهومها (تعريفها) في لسان العرب في قول

الأعرابي: «هوية أراد أهوية فلما سقطت الهمزة ردت الضمة إلى الهاء.... وفي الحديث إذا غرستم فاجتنبوا هو الأرض وهي جمع هوة وهي الحفرة والمطمئن في الأرض ».[1]

وأيضا قال عنها الجرجاني في كتاب التعريفات إنها الحقيقة المطلعة المشتملة على الحقائق« بشمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، والهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذت حقيقة الوجود لا يشرط شيء لا يشرط لا شيء». [2]فهي الصفة الثانية في الذات التي لا تتبدل و لا تتأثر ، أيضا ما يوجد لنا في الأرض للتعبير عن الحقيقة والمطلقة الراسخة في الذات الإنسانية الواحدة.

والهوية هي «الأصل والجوهر فالهوية من هو بمعنى جوهر الشيء وحقيقته، وبالتالي فإن هوية الشيء هي تواتيه التي تتجدد وتتغير، تفضح عن ذاتها ما بقت الذات على قيد الحياة » [3] فهي متجذرة في الذات كما أنها ثابتة في طول عمرها، وأيضا جاء في المعجم الوسيط أن: « الهوية حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره... » [4].

إذا نظرنا إلى هذه المفاهيم فسوف نجد أن المعاجم العربية لم تبتعد من هذا المفهوم وهي الحقيقة المطلقة، كما يظهر لنا أيضا أن مفهوم الهوية في الأصل مفهوم عربي وذلك كونه حاليا يعد مفهوم متداول بعيد كل البعد عما جاء في الكتب التراثية.

فإذا عدنا إلى " اللسان العربي" فسوف نجده قد أورد هذا المصطلح ب: «هوية Identity –Identite الأمر المستعمل من حيث الإمتياز عن الأغيار، الهوية من الهو، كما تشتق الإنسانية من الإنسان والرجولية والرجل».

---

[1] محمد بن مكرم إبن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صابر بيروت، ط 1 ، د ت، الجزء 10، ص 376.

[2] الشريف علي ابن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 137. 138.

[3] سعد فهد الذويخ، صورة الأخر في الشعر العربي من العصر الأموي في نهاية العصر العباسي عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1 ، 1430هـ / 2009 م، ص 20.

[4] بول ريكور، السرد والهوية ترجمة خالد الورقلين دار التنوير، بيروت، لبنان، 2009 م، ص 23.

ومنه فـ: « هو" مميز الإشارة الغائب في اللاتينية والإنجليزية و الفرنسية». ونجده أيضا في : «يراد بالهو هو Identique _Identical هو اقتباس ما ينبغي دائما ثابت بالرغم مما يطرأ عليه من تغيرات فالهو هو،هو هو، وإن تغيرات اعتراضه». [1]

ب. اصطلاحا:

فيعد مفهوم الهوية من المواضيع المثيرة للجدل وإنها تجمع متناقضات عدة بين كل ما هو محسوس وما هو مجرد فهي واحدة تعبر عن الأنا أيضا متعددة تفسير وتتمثل في الجماعة وتمتلك القدرة الكافية للتوفيق بين المتماثلات والمتخالفات وهي أساس الذات الفارقة، فالهوية هي : «كل ما يصمد من النسان عبر الزمن إذ تلازمه مكونة شخصيته ومحددة معالمه بشكل ثابت، يمنح إبداعه طابعا خاصا، فلا يكن مسخا للأخرين.... » [2] أي أنها متفردة بانها متفردة بخصائص تميزها عن غيرها من بني البشر.

ونجد إبراهيم ببومي: يعرفها بقوله: «إنها حقيقة الشيء من حيث تميزه وتسمى أيضا وحدة الذات» .[3] فهي متميزة وتعتبر ذاتية متفردة عن غيرها من الأجناس " الناس".

ونجد عبد المنعم، الحقي يعرفها بقوله : «الأمر المتعقل من حيث أنه منقول في جواب ما يسمى ماهية ومن حسب تبوته في الخارج يسمى حقيقة ومن حيث إمتياز عن الإختبار رسمي هوية» [4] فالهو تعتبر الماهية و أيضا تعبر عن الحقيقة كما أنها تعبير عن الذات الهوية.

ويعرفها أحمد بن نعمان هي: «الهوية إسم لكيان أو الوجود على حالة أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناء على مقومات ومواصفات وخصائص معينة تمكن من إدراك صاحب الهوية بعينه دون أشباه مع

---

[1] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص 666، 667.

[2] ماجدة حمود، إشكالية الآنا والغيرنماذج روائية، عالم المعرفة، دولة الكويت، د ط، 2013/1434م، ص 15.

[3] إبراهيم بيومي، مذكرة المعجم الفلسفي، الهيئة العامة شؤون المطابع المصرية القاهرة، 1983، ص 208.

[4] عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة القاهرة، ط 3، 2003، ص 910.

أمثاله من الأشباه والمسألة هي هذه القضية تتعلق بنوعية تلك الصفات والمقومات والخصائص»[1].

أي أن الهوية تعتبر من وجود الشخص والشعب كما تعبر عن الأمة وهي تدل على مواصفات وخصائص تمكن الفرد من الإدراك والتمييز بين الفرد وإشتباهه بتلك الصفات والخصائص والمقومات المغايرة من شخص إلى آخر.

أما شارلز تايلور فيقول فهي هذا أن الهوية تعني: «أنها تعي من تكون، فهي المكان الذي تنتسب إليه، إنها تجسد بحق الخيرات والتجارب السابقة التي تضفي معنى على أذواقنا ورغباتنا ، وخياراتنا ومطامعنا(...)ومن تمة فإن إدراكي للهوية التي تعني أنني قد جعلت الهوية موضوعا للحوار مع الأخرين و بذلك فإن هويتي تعتمد إلى حد كبير على علاقاتي التجاوزية مع الأخرين ».[2]فتشارلز تايلور يجد بأنها ليست إنطوائية ذاتية على نفسها وإنما تتشكل في تفاعلها مع الأخرين.

من هنا فالذات تسعى إلى الحفاظ على هويتها، كما تعتبر من المسائل التي لا تعطي دفعة واحدة إنما هي حقيقة تنمو وتعيش فيها طوال حياتها، وعلى هذا الأساس نجد أن « الهوية لا تكون كاملة أبدا وهي ليست شيئا تدركه الحواس، إنما هي ضرورة غير منتظمة، إنها قيد التيار على نحو دائم وهذا يعني أنها لا تتمتع بأي استقرار»[3] فهي تعتبر مفهوم معنوي أكثر حسي كما تجمع بين الأمريين معا ما هو معنوي مجرد متنوعة بين الحدود المتناقضة التي تمكننا من اتخاذ موقف تجاهها أو الحكم عليها.

ج. الهوية من المنظور الفلسفي:

إن هذا المنظور ينظر إلى الهوية كمبدأ يقوم على الوحدة مع الذات فقد استعملها المترجمون والدارسون القدامى من " الهو" وذلك لكي ينتقلوا إلى العربية بفضلها فنجد الفرابي يقول: «المعنى الذي تؤديه كلمة " هست"

---

[1] أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية والحقائق والمغالطات، د ط، د ت، دار الاية برج الكيفان الجزائر، ص 10.

[2] حسام الدين علي مجيد، إنبعاث ظاهرة الهوياتن قراءة في منظور الفكر الكندي تشارلز تايلور، موقع مؤمنون بلا حدودن 2016/12/22.

[3] نحال مهيدات، الأخر في الرواية النبوية العربية (في خطاب المرأة والجسد والثقافة(عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، ط 1، 1428هـ/ 2008، ص 11.

بالفارسية و " داشين" باليونانية أي فعل الكينونة الذي يربط بين الموضوع والمحمول، ثم عدلوا عنها ووضعوا كلمة " الموجود " مكان " الهو " والوجود مكان " الهوية" ومع ذلك فقد فرضت كلمة الهوية كمصطلح فلسفي يستبدل به على كون الشيء هو نفسه »[1].فالهوية من هذا المنظور تعرف بالوجود، والهو بالموجود وبذلك نجد أن معنى الوجود الذي يدل على الذات من خلال تحول المعنى إلى مفهوم الشيء المفكر إلى مفهوم الأنا أي الذات.

كما نجد أن الهوية في مستوى اللغة الفلسفية تعني الثقافة والأنثروبولوجيا فلم هذا في «لفظة الهوية " Ipseite" في مستوى اللغة الفلسفية إلى لقطة الهوية (بفتح الهاء) (Identite) التي تشير إلى "نحن" في مستوى الأنثروبولوجيا والثقافة في ضوء النقد ما بعد الحديث».[2] في هذا التعريف نلاحظ أن الهوية قد اتسع مفهومها في ضوء النقد الذي يشير إلى " نحن " وذلك على المستوى الثقافي والأنثروبولوجي .

أما إذا تطرقنا إلى " الموسوعة الفلسفية التي درست الهوية فنجدها قد انطلقت في تعريفها للهوية على أنها «مقولة تعبر عن تساوي وتماثل موضوع أو ظاهرة ما مع ذاتها ويتطلب تعيين هوية الأشياء أن تكون قد تم تميزها مسبقا ومن ناحية أخرى، فإن الموضوعات المختلفة غالبا ما تحتاج هويتها بهدف تضيقها، وهذا يعني بأن الهوية ترتبط ارتباطا لا يمكن فهمه بالتمييز بين الاشياء.... » .[3]أي هي من السمات التي تميز كل فرد عما سواه وذلك سواء من حيث الوجود الداخلي أو العام الخارجي، وأيضا علاقته مع الأشياء والموضوعات والموجودات المحيطة به والتي يرتبط بها.

تستخدم أيضا في التراث العربية: على أنها الأمر المتعقل من حيث الإمتياز، حيث يعرفها " الجرجاني" بأن «الأمر المتعقل من حيث الامتياز عن الأشياء».

والهوية عند إبن رشد :«تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود» .[4]

---

[1] أحمد عبد الحليم عطيه، " بول ريكور" ، الهوية، والسرد، وتأليف حاتم الروفلي، ط 1، 2009، ص24.

[2] -فتحي المسكيني: الهوية والزمان، تاويلات، فينومينولوجية، لمسألة " النحن" ، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط1، 2001، ص08 .

[3]الموسوعة الفلسفية باشراف م روزنتال، وديادين، ترجمة سمير كرم ، دار الطليعة بيروت، ط1، 1981.

[4]محمد ابراهيم العيد، الهوية والقلق والابداع، دار النشر، ط1 ،2002،ص17.

أما عند الغرب :نجدها عند "جورج جروديك" «أول من استخدم Id كمصطلح في التحليل النفسي ليدل على أمر شخص في الطبيعة الإنسانية ويقوم " مبدأ الهوية على الموجود ذاته أو ما هو عليه كما أن الهوية هي أيضا: عبارة عن الشخص وقد تطلق على الوجود على الماهية مع التشخيص، وهي جهة ما هو واحد فلسفة الهوية هي مصطلح يفي عموما كل نظرية لا تفرق بين المادة والروح ولا بين الذات وموضوعها وتنظر إليها على أنه وحدة لا تنفصل». [1] أي أن الهوية تقوم على مبدأ الوجود ذاته وأيضا هي عبارة عن الشخص في حد ذاته وأيضا قد تطلق على الوجود بالماهية مع الشخص.

أي أن الهوية سواء في التراث العربي أو عند العرب فهي تعني الامتياز عن الاعتبار وأيضا الشيء نفسه من حيث الخصوص والتفرد وأيضا على مبدأ الوجود ذاته وماهية التشخيص.

د. الهوية من المنظور الاجتماعي:

إذا عدنا إلى الهوية من هذا المنظور فسوف نجدها من مسائل المجتمعات وذلك بسبب تركيزها على السياق الثقافي الاجتماعي من حيث المنشأ و التكوين وهذا ما أدى إلى أهمية تعزيز الهوية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وأيضا من خلال تحقيقها لأهدافها في تكوين الشخصية الاجتماعية للفرد ليكون منسجما ومنتميا إلى مجتمعه وأيضا قادر على المشاركة الايجابية في الانتاج الاجتماعي وأيضا يؤكد ذلك ان الجزء الاجتماعي من الهوية ويرتبط بطريقة تفسير الفرد لوجوده ضمن فمن هنا نريد ان نضبط مفهوم الهوية من المنظور الاجتماعي.

إذا نظرنا إلى الهوية من هذا المنظور فسوف نلاحظ أنها تنطلق من الإحساس الواعي للإنسان بالتفرد والتضامن مع القيم الاجتماعية أو الجماعة فنجد "عبد الكافي" يقول بأن الهوية : « هي مجموعة عمليات تقع في

[1] المرجع نفسه ، ص18.

الشخصية وفي مركز الثقافة الاجتماعية» [1]

فالهوية مرتبطة بالعوامل التي توجد في المجتمع أي المجتمعية ونجدها تتعدد وفق تعدد التيارات الفكرية داخل المجتمع الواحد فيقول أبو زيد أحمد بأنها متشابكة و متداخلة فيما بينها وجسد هذا في:« والهوية تتشارك وتتداخل في كل مركب نتيجة لتغيير المجتمع وتتشابك علاقته وتتنوع تفاعلاته في سياق الأبعاد الثنائية والوظيفية»[2] فهي متعلقة أيضا بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون انه مهم في حياتهم، ويشكل من خصائص محددة فنجد "عز الدين مناصرة" يعرف الهوية من خلال علاقتها بالسلوك واللغة الثقافة هي: « مجموع قوائم السلوك واللغة والثقافة التي تسمح لشخص أن بتعرف على إنتمائه إلى جماعة اجتماعية والتماثل معها، غير أن الهوية لا تتعلق فقط بالولادة أو الإختيارات التي تقوم بها الذات، لأن تعيين الهوية سياقي ومتغير ». [3]

ونجد تعريفات أخرى تسلمت هذا المفهوم منها تعريف "محمد عايد الجابري": إذ يقول أن « الهوية وجود وماهية وفي المجال البشري، مجال الحياة الاجتماعية على الأقل الوجود، سابق للماهية دوما ، الشيء الذي يعني ان الماهية ليست معطى نهائيا بل هي شيء يشكل بشيء يصير». [4]

فمن هذا التعريف نلاحظ أن الهوية عبارة عن ماهية ووجود المجال البشري والاجتماعي فنجد أن الوجود يكون أسبق من الماهية .

فهو هنا يرى بأن الهوية تلك التي تنتقل بالوراثة داخل الجماعة وأيضا تظل محتفظة بوجودها وحيويتها مثل القيم والتراث والثقافي وأيضا الطابع الوجودي للإنسان.

---

[1] عبد الكافي إسماعيل عبد الفتاح، التعليم والهوية في العالم المعاصر، سلسلة دراسات إستراتيجية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد 66، 2001، ص 13.

[2] أبو زيد أحمد، البناء الإجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، دار الكتاب العربي، القاهرة مصر،ج1، ص61.

[3]عز الدين مناصرة، الهوية والتعددية اللغوية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط2004،1، ص24.

[4]محمد عابد الجابري، مسالة الهوية العروبية و الإسلام والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت،ط1، 1997، ص 10.

فهي تعرف بالتميز من طرف الفرد أي ان الفرد يتميز عن غيره في اكتشاف وتحديد شخصية فنجد هذا في تعريف إذ يقول « هي عملية تميز الفرد لنفسه عن غيره أي تحديد حالته الشخصي». [1]

فالهوية من هذا المنظور تتميز بالإحساس بالتفرد الإنساني وايضا حاله الاستقلال بالذات عن الغير.

وأيضا تعرف الدكتورة بغداد خيرة: « الهوية في علم الاجتماع تتضمن كل ما يتعلق بقضية العلاقة بين الجماعة الفردية والحتمية الاجتماعية والفردية للتفرد، فالهوية أو الثقافة حسب ما أنشأته الدراسات السوسيولوجية والانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية والنفسية والتاريخية (...) منسجمين ومتفاعلين تحت وطأة الخصائص والمميزات». [2]

فمن هذا القول نلاحظ أن الهوية تتجسد من خلال مجموعة من السمات والمميزات المختلفة التي تميز كل جماعة عن غيرها.

وأيضا يعرفها اليكس ميكشللي: « أنها مركب من العناصر المرجعية المادة والاجتماعية والذاتية المصطفاة، التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي والهوية بالنسبة للفاعل الاجتماعي، مركب من العمليات والاطروحات المتكاملة التي تفسر العالم وتأخذ صيغة تعبيرية خاصة تطلق عليها التراث الهوياتية، و تضرب بالهوية الذاتية للفاعل الاجتماعي جدورها في غمار الإحساس بالهوية الذي يمنح الكائن الاجتماعي التماسك والتوجه الدينامي على نحو شمولي ».[3] فمن هذا التعريف نجد أن الهوية هي عبارة عن مجموعة من السمات المادية والمعنوية التي تسمح بتعريف موضوع معين وأيضا تتكون من جانبين جانب موضوعي وجانب واقعي.

فالهوية من هذا المنظور نجدها متعددة الجوانب والمفاهيم ويمكن مقاربة عدة زوايا حول هذا المنظور، فالهوية تتعلق بفهم الناس و تصورهم لأنفسهم وبما يعتقدون انه هام في حياتهم ويتشكل هذا الفهم انطلاقا من خصائص محددة

---

(1) أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات والعلوم الإجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1977، ص185.

(2) بغدادي خيرة، الهوية الإجتماعية، محاضرات الدكتورة بغدادي خيرة،التوجه الدينامي .

(3) اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة على وطنه، دار النشر العربية، ط1، 1993، ص 169.

تتخذ مرتبة الأولوية.

هـ. الهوية من المنظور السيكولوجي (التفسي):

إذا أردنا النظر إلى الهوية من هذا المنظور النفسي و أردنا إبراز أهم مقوماتها و أضا التركيز على أعلامها وما هي مميزاته ولماذا سميت بهذا الاسم فسوف نتطرق إلى أهم الأعمال التي قام بها دارسو هذا المنظور.

فإذا نظرنا إلى تصريح التاريخ لحياة الإنسان فسوف نجده قد صرح بوجود دلائل مقنعة وواضحة وذلك بأن الإنسان يتأمل ذاته ويفكر في طبيعة سلوكياته منذ وجوده على سطح الأرض .فيرجعها إلى قوى خارقة ويضفي .

فهذا دال على أن الهوية مرتبطة بالفكر ولا أحد يستطيع أن يعرف هوية الآخر وذلك فهي تعتبر من الصفات السيكولوجية المتطابقة والموحدة الخاصة بفئة من الناس،تكسبهم تطابقا فكريا وعقليا، بمعنى إحساس التشخص بالانتماء لنفسه ولذاته اؤلا،ومن تمة انتماءه وعضويته لهده الطبقة، فالهوية « هي الشعور بأن المرء هو نفسه، المعرفة من هو المرء،فالنفسانيون غالبا ما فهموا الهوية مفهوم الذات ،كما درس الأطباء النفسيون فقدان الهوية في الأمراض الفصامية، وبحث المحللون النفسيون الأجزاء الاشعورية للهوية السلبية » [1]. أي أنها صورة الذات وما تحمله من مظاهر داخلية، والتي يعرف بها نفسه، لأنها مركز الإحساس والتفكير في الشخصية.

فنجد أن النفسانيون قد ربطوا الهوية بالحالة النفسية للإنسان، فجعلوها جملة من « الأفكار الواعية وغير الواعية التي تشكل معنى اللحن ،كما أن الوعي بالذات يؤدي إلى تكوين الهوية القائمة على الاختلاف والتمايز عن الآخرين»[2]. فهي تشير إلى إحساس المرء بنفسه وذاته إحساسا مجردا بضرورة الانتساب الى مجموعة يتشارك معها الميولات ومختلف الأفكار :

[1] بيتر كوزان، البحث عن الهوية وتشتتها عن الحياة إيريك إيركسون وأعماله، ص ص 92، 93.

[2] سعد فهد الدويخ، صورةالآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، مرجع سابق، ص 07.

فنجد "وليام جيمس" الذي يعود إليه الفضل من خلال دراسته إلى افراج موضوع الذات على نطاق واسع في العالم، فقد حدد نمطين لدراسة الذات هما الذات العارفة التي تشتمل وظائف التفكير والإدراك إلى جانب الذات كموضوع وهي تغير الذات التجريبية العلمية إلى:

الذات المادية: التي تشير إلى الفرد وممتلكاته وجسمه وأسرته .

الذات الاجتماعية : وهي وجهة نظر الأخرين نحو الفرد

الذات الروحية : تشير إلى إشكال من الانفعالات وكل رغبات الأفراد فمن هنا نقول بأن الذات هي نتيجة تفاعل الفرد مع الآخرين، ومن المستحيل دراسة او فهم الذات إلا من خلال الأشخاص المحيطين بها.

وأيضا نجد النمساوي " سغموند فرويد" صاحب نظرية التحليل النفسي الذي يؤكد على أهمية الذات في تشكيل الشخصية ونموها فقد وضع عدة أطروحات خاصة به حول موضوعية النفس وما يعتبرها من اضطرابات كما نجده قد تحدث حول عناصر ثلاثة آلى وهي : الهو، الأنا، الأنا الأعلى.

الهو: فهو الذي يمثله الجانب البيولوجي.

الأنا: والذي يمثله الجانب السايكولوجي.

الأنا الأعلى: فهذا يتمثل في الجانب الاجتماعي او الأخلاقي، فمن هذا التقسيم يشار إلى أن الذات مقسمة إلى ثلاث مستويات ومن هنا يتبين لنا أن فرويد قد : «حاول تكسير هذه العلاقة التي تربط الوحدة بالهوية لا يمكن تحديدها إلى داخل إطار علاقاتي بالآخرين» .[1]

فالذات من هذا التعريف مقسمة إلى أقسام وليست نتيجة التطابق الحتمي، غير ان هذه الذات ليست بمعزل عن الأنا الأعلى.

[1] نور الدين افاية، الهوية والاختلاف في المرأة الكتابة والهامش، إفريقيا ، الترف، الدار البيضاء، ص 17.

فإذا عدنا إلى التعريف السابق والبحث السابق حول المنظور الاجتماعي فسوف نجده عملية دمج ذات فردية مع ذوات أخرى وذلك لتشكيل هوية اجتماعية فهذا يعني أن هذه العملية تفسر عن نوع من الهدم لبنية الذات أي تفكيك بنية الذات الفردية مما ينتج عنه تمزق وتشتت لبنية الذات الفردية.

فعملية الدمج الهووي تصرح: « بشكل جلي إثناء المراهقة (...) فالمراهقة تعلم أكثر فأكثر بوصفها حدادا، إذا أن الحداد لا يتمثل في الرغبة العارمة التي تمتلك جسد الانسان في الانفصال والتحرر من الصور العامة التي يفرضها الأدب خلال المؤسسة والأخلاق واللغة، بل يتجلى أيضا في القرار النفسي المتذبذبة بإنهاء هذه الصور وماهيتها» .[1]

فمن هنا نجد أن فترة المراهقة هي بمثابة منطقة جذب واستقطاب بمختلف العوامل النفسية والسيكولوجية التي يمر بها الفرد وذلك من أجل اكتساب هويته الشخصية.

2.أنواع الهوية:

إذا نظرنا إلى الهوية من حيث الأنواع التي تتجسد فيها فنجدها تنقسم إلى أنواع عدة، إذ يساهم كل نوع منها إلى الاشارة إلى المعنى أو المصطلح أو الفكرة التي يدرسها فمن بين هذه الأنواع تركز على الهوية الفردية (شخصية) والهوية الوطنية (القومية).

أ. الهوية الفردية (الشخصية):

هي تلك التي تثير و تعبر أساسا على المميزات الجسمية الفردية التي تميز كل كائن بشري عن الأخر ومن أمثلة تلك نجدها في بصمات الأصابع الأحبال الصوتية، قزحية العين، وغيرها من المميزات التي يختلف كل فرد عن

[1]نور الدين افاية، الهوية والاختلاف في المرأة الكتابة والهامش، المرجع السابق، ص 19.

الأخر وذلك يكون علميا فنجد في هذا القول الذي يتبت ذلك « بصمات الأصابع ، الأحبال الصوتية، قزحية العين ، الحمض النووي التي تبرهن هذا الاختلاف علميا » .[1]

ويعرفها أيضا علماء التربية وعلماء النفس بكونها مجموعة من الصفات والخصائص الجسمية و الخلقية وغيرها، وأيضا المستوى الاجتماعي ويميزه عن غيره من الناس فقيل في هذا « يعرف علماء التربية وعلماء النفس الهوية بمجموعة الصفات والخصائص الجسمية والعقلية والخلفية والنفسية والوحدانية والميزاجية التي يتصف بها الإنسان على المستوى الفردي وكذلك على المستوى الاجتماعي وتميزه عن غيره من الناس » [2] . أي أن الهوية هذا التعريف هي جماع ما لدى الإنسان من صفات جسمية وعقلية وخلقية ونفسية ومزاجية سواءا كانت موروثة ام مكتسبة.

ب. الهوية الوطنية (القومية):

يتصل مفهومها بمصطلح مفهوم القوميات فهذا المصطلح ارتبط بتميز القوميات في القرن التاسع عشر وهذا نسبة إلى الوطن والأمة التي ينتسب إليها شعب مميز بخصائصه هوية أية أمة فنجد أن الهوية الوطنية هي مجموع الصفات الثقافية التي يشترك فيه جميع الأفراد فنجد: " الهوية الوطنية هي مجموع الصفات السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى الذي يشترك فيه جميع الأفراد يعرفون ويتميزون عما سواهم من أفراد المجتمعات والأمم الأخرى. [3]

وأيضا « تستخدم للإشارة إلى وطن الفرد ويتم التعريف عنها من خلال البطاقة الشخصية التي تحتوي على مجموعة من المعلومات والبيانات التي يتميز فيها الفرد الذي ينتمي إلى دولة ما ». [4]

---

(1) أحمد بن نعمان ، الردود العلمية على الأطروحات العرقية، وتعدد الهوية في الجزائر، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، ط1 ،2005، ص، 11.

(2) رابح تركي: التربية والشخصية الجزائرية، أكتوبر 1977، ص 28.

(3) أحمد بن نعمان ، الهوية الوطنية ، الحقائق والمغالطات، مرجع سابق، ص 21.

(4) محمد عبد الله الجربيع، مدخل لدراسة الهويات الوطنية، دراسة سوسيولوجية لحالة الهوية الاردنية، ص45.

أي أن الهوية القومية هي إحساس الفرد بالإنتماء وهو الشعور بأمة متماسكة بالمجمل، وهي أيضا شعور وتميز "لنحن" مقابل "هم "،ونجدها أيضا ممثلة بتقاليد وثقافة وسياسات ولغة مميزة.

الفَصْلُ الثَانِي: تشَكُّل الهَويّة الوَطَنية (الأناَ والآخَر) مِن خِلاَل مُذَكِّرات شَاهِد للقَرن.

المبحث الأول: تجليات الهوية الوطنية من خلال صورة الوطن "الأنا والآخر" في مذكرات "مالك بن نبي"

1. صورة الأنا الجزائري
2. صورة الآخر الأجنبي "المستعمر"
3. صورة الأنا الأيديولوجي.
4. صورة المرأة.
5. صور المثقف.

المبحث الثاني: تمثلات الهوية الثقافية الوطنية من خلال مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي

1. ثقافة المجتمع.
2. ثقافة اللغة.
3. الثقافة الدينية (ثقافة الدين).
4. ثقافة الملكية .

المبحث الأول:تجليات الهوية الوطنية من خلال صورة الوطن " الأنا والآخر" في مذكرات مالك بن نبي":

تعتبر مذكرات مالك بن نبي عبارة عن مجموعة من القضايا التي شهدتها الجزائر و التي نقلت لنا معاناة الشعب الجزائري جراء الظلم الذي ارتكبه الآخر الفرنسي. الذي حاول أن يطرح أفكاره الإيديولوجية. و يبرز كل الصور التي كان يشاهدها بأم عينه و التي سردت أمامه لذلك حاول تسليطها على مذكراته و ذلك للكشف عن صورة الجزائر أو صورة وطنه. من جهة و صورة الآخر الفرنسي من جهة أخرى فما هي هذه الصور المتعلقة بالأنا و الآخر في مذكرات شاهد للقرن كمالك بن نبي و كيف تميزت العلاقة بين كل من الأنا و الآخر.

قبل ان نتطرق إلى صورة الوطن(الأنا والأخر) من خلال المذكرات وجب علينا التدقيق أولا في مفهوم مصطلح الصور،وكدلك مفهوم الأنا والأخر و ذلك من حيت اللغة والاصطلاح:

فالصورة:

نجدها قد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾[1]أي ان معنى الصورة في القرآن يقتدي على ما جاء في المعاجم العربية فقال ابن الأثير في موضوع الصورة: " ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنضفته ويقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا، أي ضيفه، فيكون المراد لما جاء في الحديث أنه أتاه في أحسن صفة"[2]، وقال في الجوهري (393 ه): والصورة بكسر الصاد، لغة في الصور جمع صور"[3]

---

[1] سورة الإنفطار، الآية 6-8.

[2] ابن الأثير الجزري مجد الدين، جامع الأصول في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم،مجلد 9، دار الكتب للنشر والتوزيع، 1998ص 548

[3] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مادة صور، ج2، دار العلم للملايين، ص 716.

كما ذكرت عند إبن فارس (395) ان: " صورة كل مخلوق والجمع صوره هي هيئة خلقية"[1].كما يرى أبن سيدة ان " الصورة في الشكل"[2]. فمن هذه التعاريف نجد أن الصورة دلت على الهيئة وصفة الشيء.

كما نجدها أنها تعني العلم الذي يبحث عن رؤية ثقافة الانا والاخر ف كما تبحث عن موقف الانا من المجتمع الذي ينتمي إليه من خلال معايشته به اذ: " تستقطب الصوريات اختصاصات متعددة: الأنتربولوجيا، علم الاجتماع، والتاريخ الدبي والتاريخ السياسي، ولعلم نفس التقري، تهتم أساسيات بثقافة الآخر والآخرية والهوية والمثاقفة والإستيلاب الثقافي والرأي العام المتخيل الإجتماعي"[3] فالآخر يتخد عدة صور تتم مقارنتها بالمسلمات الفكرية للأنا إذ تمنح (الصورة) للاخر تصورا مخالفا لها أما الآخر فيسهم في تشكيل هذه الصورة،

كما ان الصورة لذيها مهمة و هي:" معرفة الصورة الذهنية التي يشكلها الإنسان عن ذاته وعن الآخرين لذلك فإن أية صورة للآخر هي إنعكاسا للآنا سواء أكانت تجسد اختلافا – الآخر مقابل الأنا– أن لقاء الآخر يشبه الأنا وبذلك تعد هذه الصورة فعلا ثقافيا تقدم تفاعل الأنا مع الآخر...."[4]. فالصورة لا تنحصر في تصوير للآخر فقط بل تكوين نظرة عن الذات إذ نجد أن صورة الآخر هي إنعكاس للآنا.

وأيضا صورة الأنا والأخر عبارة عن صورتان قابلتان للتعبير على الرغم من الثبات فقيل في هذا أن "صورة الأنا والآخر وصورة الآخر صورتان قابلتان للتغيير والتعديل رغم ما يبدو عليهما من ثبات وطبيعة العلاقة تختلف باختلاف الأحداث والظروف التي يمليها الواقع الطبيعي عليهما"[5]. فالأنا يستطيع أن يرفض الآخر وكذلك العكس.

---

[1] جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور،، لسان العرب، دار احياء الثرات العربي بيروت لبنان (ج4/ ص 473)

[2] إحسان عباس،فن الشعر،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، ص 194.

[3] محمد الداهمي، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013م، ص ص 8-9.

[4] ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 1431هـ /2010م، ص 195.

[5] صفاء عبد الفتاح محمد المهداوي: الأنا في شعر محمود دروسي (دراسة سوسيوثقافية في دواوينه من 1995-2008)، عالم الكتب أريد، الأردن، ط1، 2013، ص 40.

كما يمكن أن تقول بان الهدف من الصورولوجيا هو: أنها قد تعكس صورة الآخر في آثار أديب حاجة ذلك الأديب ومعه عدد كبير من المتابعين إلى الهروب من مجتمعه الذي ضاق درعا به وبمشكلاته، وقد تعكس رغبة في اصلاح ذلك المجتمع أو تغييره او دفعه للاقتداء والمجتمعات الأجنبية"[1] أي أن الموقف من الآخر قد يخضع لخلفيات فكرية واجتماعية ونفسية خاصة بالأديب التي من خلالها يتبين له موقف عن الآخر فالباحث في هذا المجال يستنبط رؤى جديدة تخالف كل معتقداته كما قد تتأثر صورة الآخر بما حولها وأيضا بتجارب الكاتب ومختلف أفكاره لينتج عن ذلك تأثر القارئ بهذا الآخر تأثير سواء أكان حسنا أم سيئا.

فالصورة إذن هي إنعكاس للواقع الذي يحتوي على الأنا والآخر، كما تركز على حياته التي تؤثر على هوية الذات.

أما مفهوم الأنـا والآخـر :

فتعد العلاقة بين الأنا و الآخر علاقة تتسم بالجدل ، فهي علاقة تقوم على الواقع الإنساني و على أساس من التعارض يصل في كثير من الأحيان إلى درجة الشعور بالضياع للهوية ، فمن هنا بدأت عملية البحث عن الذات المفقودة أمام الآخرالمسيطر، فما هو مفهوم الانا وأيضا ما مفهوم الآخر في الدراسات الأدبية النفسية

أ. الانا :

لقد برز مفهوم الانا في مجال العلوم الإنسانية على أنه تعبيرا صعبا في تحديد المعنى لأن البحث فيه يكون دقيق و متشعب يقتضي التعريف الاصطلاحي الواحد ، و يعتبر الانا في المعجم اللغوي من الضمائر المنفصلة ضمير – المتكلم – الذي يدل على الفردية فنجد : « أنا لا تثنية له من لفظة إلا بـ : نحن، و يصلح نحن في التثنية والجمع. ... و اعلم أنه يوصل بها تاء الخطاب فيصيران كالشيء الواحد، من غير ان تكون مضافة إليه

[1] أحمد سيف الدين، صورة المرأة في روايات د/ شكيب الجابري، مجلة جامعة دمشق، ج 18، ع1، 2002، ص 5.

تقول: أنت و تكسر المؤنث و أنتم و أنتن، و قد تدخل عليه كاف[1] التشبيه فيقول : أنت كأنا و أنا كأنت حكي ذلك عن العرب » فالمعجم اللغوي يرى بأن الأنا شيء واحد و ضمير مولدا للضمائر الأخرى.

أما إذا نظرنا إلى المجال اللغوي فنجده يصرح و يوضح بأن الأنا تتقاطع مع الذات و الشخصية كما تتقاطع مع الهوية. فكل هذه المترادفات بالنسبة للإصلاح تتشكل من الأنا : « والأنا هي الذات و ما تحمله من مظاهر و خصائص ثقافية أو نفسية أو إيديولوجية، و ما تشتمل عليه من أفكار و آمال و طموحات و صراعات و تواترات. .... ». فهي من السمات التي تميز الذات من خلال مظاهر داخلية و أخرى خارجية.

أما في المعاجم الحديثة في مجال العلوم الانسانية فقد وضحت الانا بابسط تعريف و هو :

« ضمير المتكلم الواحد، و هو تعبير عن النفس الواعية لذاتها »[2]. أي الإحساس بالنفس، أيضا هناك من يرى أن الذات و الأنا تبرر في : « الفرد المبدع مما يحمله من تمييز وبما يشترك فيه من خصائص و موروثات مع غيره من المنتمين إلى جنسه و ثقافته »[3]فهي جملة من الموروثات التي تكون ثقافة الفرد في مجتمعه ساعيا بذلك الحفاظ عليها لأن:« الذات أو الأنا هي مركز شخصيتنا وأنها لا تنمو و لا تفصح عن قدرتها إلا من خلال البيئة الإجتماعية،و أن الشعور بالأنا لدينا لا يبرز دون أن يكون مصحوبا بذوات الآخرين ».[4] فالأنا تعد و تتوجب على الآخر.

فنجد سيغموند فرويد صرح بهذا في قوله بأن « الأنا هو ذلك القسم من الهو، الذي تعدل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه تأثيرا مباشرا بواسطة جهاز الادراك الحسي للشعور،وفضلا عن ذلك فإن الانا يقوم بنقل تأثير العالم الخارجي إلى الهو،و ما فيه من نزاعات،و يحاول ان يضع مبدأ الواقع محل مبدأ اللذة الذي يسيطر على الهو[5].

---

(1) جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، مادة (ا، ن، ن)، ص 160

(2) سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي ، ص 07.

(3) مراد وهبة. المعجم الفلسفي (معجم المصطلحات الفلسفية) دار قياء الحديثة. القاهرة. دط.2008م،ص95

(4) محمد الخباز. صورة الآخر في شعر المتنبي (نقد ثقافي المؤسسة العربية للدراسات و النشر. بيروت لبنان – ط1. 2009م – ص 23.

(5) سعاد توفيق الرياحي، ظاهرة الانا في شعر المتنبي و ابي العلاء المعري، دراسة موازنة نقدية، دار جليس الزمان، عمان، الاردن، ط1، 2012م، ص 15.

فالأنا تعد نتيجة صراع بين الانا الأعلى و الهو وليدة للنزاع القائم بين العالمين الداخلي و الخارجي في الإنسان.

كما يتجه "يونج" باتجاه مخالف" لفرويد "حيث يقول « يبدو أن كارل غوستاف يونج قد أطلعنا على مراده من الأنا التي تحتضن مفهوم الخاقية الشعوري التي أخذت شكلها المعروف تدريجيا باعتبارها جماع الرغبات المتعارضة و المكبوتة عما في ذلك الذكريات المؤلمة و المكبوتة »[1]ففي هذا التعريف يصرح " يونج " بأن الانا تحتفظ بكل العناصر الضرورية لحماية النفس من الأفكار اللاواعية.

فالتحليل النفسي يصرح بأن الانا هي ذلك الجانب من النفس الذي يتصف بالشعور و هي نتيجة لعملية تفاعل نفسي و هي تركز على الإدراك بالذات.

أ. **الآخـر:**

إذا نظرنا إلى الأدب العربي الحديث و المعاصر فنجده قد أبرز الحديث عن الآخر إذ أنه يمثل مكانة مبرزة نظرا لارتباطها الجدلي بالانا، الذات الهوية، إنه لا بد لنا بالإشارة إلى صورة الآخر على أنها يجب أن تستدعي الأنا و تستلزم حضور الآخر فيعرفه ابن منظور :« الآخر بالفتح أخذ الشيئين، و هو اسم على آفعل الشيء أخرى. .. الآخر ضمني غير كقولك : رجل آخر و ثوب آخر، واصله آفعل من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا، و أبدلت الثانية ألفا لسكونها، و انفتاح الأولى قبلها »[2] فنجد الأصل في الآخر يرجع إلى التأثير.

أما إذا عدنا إلى الاصطلاح : « فالآخر هو طرف غير الذات أو هو الطرف المتقابل للذات ، كما نفهم أيضا أن تمة تلازما بينهما »[3] فالآخر من هذا التعريف يشكل ضرورة يتحقق بها وجود الأنا.

وقيل أيضا أن «كل شخص آخر بالنسبة لأي شخص على وجه الارض»[1]فهدا بغض النظر على

---

(1) المرجع نفسه، ص 17

(2) جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص 38.

(3) فاضل احمد القعود، جدلية الذات و الآخر في الشعر الأموي دراسة نصية، دار عيداء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1433 هـ / 2012 م. ص 33

حضوره الدي يتقدم بها بالدات.

كما تعتبر دخيلا على ثقافة الأنا : « الحديث عن الآخر ليس مجرد مرافعة لغة دعوى لغوية ثمة حقوقي في شبه اللغة في ايتومولوجيتها – اشتقاقيتها – هناك تراكم حيف تاريخي خواف من الموروث القيمي المكثف المحيط باللغة هذه في سلوكياتها اليومية، ثمة ترجمة للمكبوت و القمع في الصميم »[2] فهذا راجع إلى أن الآخر يختلف عن غيره و يعتبر من تقاليد و هوية الأنا. حتى ينصدم في أمور لا تبرز فيه أصلا.

أما من منظور علم النفس فيشير إلى « مجموعة من السمات السلوكية الإجتماعية و النفسية و الفكرية التي يسببها فرد / ذات او جماعة إلى الآخرين مما يحيل إلى أن الآخر حاضر في المجال العام للهوية »[3] فالأنا هي التي تميز الآخر و تصوره لنفسها كما تشاء و تقدمه إلى نفسه كما يرضى.

1. صورة الأنا الجزائري:

فهذه المذكرات كانت بصدد التعبير عن المعاناة التي عاشها الشعب الجزائري الذي وجد نفسه في مواجهة آخر،حاول بشتى الطرق أن يقضي على هويته، فإتخذت صورة الأنا (المواطن الجزائري) عدة أشكال،فهي ليست عبارة عن صورة واحدة بل إختلفت و تباينت بين الايجابية و السلبية و هذا يعود إلى موضوعية الأديب المفكر في التعامل مع الأصناف الجزائرية (الوطنية) التي تعد و تمثل إنتمائه وتحدد هويته في وطنه،فالأديب أو المفكر: « عندما يحاول التواصل مع الآخرين، فإنه يفقد جزءا من ذاته ليصبح هذا الجزء منتميا إلى سواه، إنه سيتوقف عن كونه ذاته بالنسبة إلى نفسه، و سوف يصبح هو الآخر بالنسبة لشخص آخر، و أن وجود الآخر هو الذي يجعلنا نتحول إلى موضوعات بعد أن كان كلا منا ذاتا »[4] فالمواطن الجزائري اصبح آخر بالنسبة للسارد و لهويته، الذي

---

(1) صلاح صالح، سرد الآخر (الأنا و الآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 2003 م، ص 10.

(2) جاك ديريدا، احادية لغة الآخر أو ترميم الأصل، نرد عزيز لوما و ابراهيم محمود، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية اللاذقية، ط1، 2009 م ص 108.

(3) سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، ص 9 – 10.

(4) فيصل عباس، الاغتراب (الإنسان المعاصر و شقاء الوعي)، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط 1، 1429 هـ / 2008 م، ص 269.

جمع بين الكتابة عن نفسه و الكتابة عن الجزائري (التبسي ،القسنطيني) و الفرنسي في آن واحد " معا "،فهذه المذكرات لها إزدواجية أجناسية ألى وهي السيرة الذاتية و السيرة الغيرية،أي سيرة غيرية للآخر الجزائري و الفرنسي.

فمالك بن نبي في هذه المذكرات يقدم أسئلة كثيرة عن شعبه التي عبر عنها بوضع انطباع حولها و بدى تأثره بالشخصيات الواردة و أيضا مدى قلقه على ما آل إليه وطنه من أوضاع مزرية التي يضفي عليها سمات تجعلنا ندرك موقفه من هذه القضية التي تجسد واقع حي في تجربة إبداعية فنجد أن « الألم يحاصر الأنا و يدفعها إلى محاولة التخلص منه عبر عدة طرق قد يكون البوح و الكلام إحدى هذه الطرق من الأساسات المؤلمة تنزع نحو التعبير و التفريع و هذا هو السبب الذي من أجله نفسر الألم، أنه يتضمن ازدياد شحنه الطاقة النفسية ليصرف الدافع المكبوت قوة دافعة بدون أن يلاحظ الأنا ما في ذلك من التزام »[1] أي أن ما بشيء وراء الألم و المعاناة و التأثر تجعل من المرء يخرج كل المكبوتات في تشكل ابداعات من طرف الأنا.

كما أنه قد يدافع عن الحالة الإنسانية الحية سواء بتبرير الأفعال كما يبرز صور أخرى عن الحالة الجشعة التي يتميز بها البعض ، فهذه الحالة الأخيرة قد تكون خائنة للوطن و للهوية الوطنية و كما تصور طمعها و استبدادها الآخر التي تتقاسم معها نفس الدين و التاريخ و المصير.

أ. صورة الجزائري المنتمي .

فالمنتمي يعتبر الرؤية الإيجابية التي يبرزها المفكر مالك بن نبي لحالاته الإنسانية و الواقعية الملموسة في المذكرات التي تحمل تعلقا وطنيا و قوميا و اجتماعيا و فكريا و نفسيا التي بدورها أيضا تحمل الشعور بالانتماء إلى الوطن.

فلقد أورد مالك بن نبي هذه الصورة بكثرة في مذكراته لأنها تمثل الهوية الوطنية التي برزت عقب الظروف التي مر بها الشعب الجزائري مما أدى إلى تقديم صورة الوطن، فهذه الصورة تجسدت في مختلف أنواع النظال سواء

[1] سيغموند فرويد، الأنا و الهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط4، ص 138

السياسي ام الفكري و ذلك من أجل تغيير الأحداث السائدة و الدفاع عن الهوية الوطنية في هدف منها تمجيد النظال الوطني ضد العدو.

فالشعور العميق بالهوية لدى المنتمي يتكون: « ضمن سياق تفاعل الذات بمحيطاتها العائلية و الإجتماعية و ارتباطاتها العقائدية و الايديولوجية داخل الثقافة العامة التي تقسم مجتمعا من المجتمعات »[1] فالمنتمي يرى أن شخصيته جزء من بنيته الأسرية ثم عند الإحتكاك بالآخر أي مع غيره من الأفراد يزيد من احساسه بالهوية. فالمنتمي يملك احساسا متماسكا بالذات، كما أنه على قناعة أن الأخلاق تجعل منه شخصا سويا، فالإنتماء لديه شعور بالكلية مما يجعله قادرا على إدراك الخطأ من الصواب و أيضا العمل الصالح يخلق لديه الشعور بالمسؤولية اتجاه الجماعة التي ينتسب إليها.

فوردت هذه الصورة في المذكرات في: صورة الأم المنتمية إلى أبنائها و المرتبطة بهم و تسعى جاهدة إلى تحقيق كل مطالب الأبناء وسط هذه العائلة التي تمر بظروف مادية صعبة جدا فهي امرأة مستعدة للعمل و الشقاء في سبيل سعادة أبنائها و توفير كل ما يحتاجون إليه فهي مستعدة لبيع ممتلكاتها و ذلك من أجل العائلة و الأبناء فقال عنها مالك بن نبي : « أنا اذكر أنها إضطرت ذات يوم لكي تدفع إلى معلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص »[2]

فهي كانت أم يائسة تشعر بالمسؤولية و الإنتماء لأبنائها، تعي ضرورة التحرك لإعانة و توفير احتياجات أولادها، فهي كانت توفر قوت أولادها بفضل حسن تدبيرها :« كنا نحصل على قوتنا بفضل حسن تدبير أمي و إنكبابها الليالي الطوال على عملها »[3]. فقد سهرت الليالي الطوال في العمل للحصول على قوت أبنائها و تلبية كل مطالب الحياة للأسرة، و ذلك لكي تساعد في إعانة الأولاد فقد أبرزت انتمائها و لم تنس واجبها إزاء

---

(1) محمد نور الدين افاية. الهوية و الإختلاف (في المرآة الكتابة و الهامش). ص 21

(2) مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن. مصدر سابق. ص 19

(3) المصدر نفسه، ص 19

أبنائها و أنهم هم هويتها الأولى و الأخيرة، لذا قامت بما كانت لتفعله كل امرأة أو أم اتجاه عائلتها التي كانت تعاني من الفقر و إزاء أولادها الذين كانوا من مسؤوليتها في توفير لهم متطلبات الحياة، و التي رأت في العمل كخياطة الحل الوحيد كي تساعد الأب في توفير العيش للعائلة و الأولاد.

كما نلتمس صورة الجزائري المنتمي عبر المذكرات الدي تجسد في: خطاب الذي كان حبه لوطنه و انتمائه له جعله يصرخ في وجه السلطات الفرنسية مبديا رأيه و الذي غرس الرهبة في نفوس المستعمر.فقيل : « كان طيلة السنتين الأخيرتين يتحدثون أحيانا عن مآمرة أحد قدماء الطلبة يدعى " خطاب " إذ غرس الرعب في نفوس ممثلي المعمرين في المجلس الاستشاري العام لقسنطينة »[1]

إذ أنه في يوم تقدم تقرير إلى المجلس بشأن سرقة و الذي صرح فيها المعمر بأن المذنب الجزائري النديجان، فصرخ في وجه المستعمر و لم يأبه لمكانته في الدولة المستعمرة، و أن هذا الـ Indigène بتصريحه أمام السلطات الأستعمارية سوف يؤدي به للسجن أو الموت و العقاب حتما فكان انتمائه واضحا و غضبه على قرار المعمر بسبب الظلم الذي كان يفعله مع شعبه أدى به قول: أن السارق قد يكون فرنسيا فقيل: « ففي يوم كان أحد المنتخبين الاوروبيين يقدم تقريره للمجلس حول سرقة بقرة تخص أحد المعمرين الفرنسيين، و ختم تقريره بقوله: " بالطبع فإن السارق أحد سكان البلاد الأصليين Indigène ، فانبري خطاب الطالب في السنة الرابعة، و كان يجلس في مقاعد المستمعين في المجلس و صرح " ولم لا يكون السارق فرنسيا »[2]

كما نجد أيضا في المذكرات صورة الأمير خالد الدي كان ينطق بإسم الشعب الجزائري، فقد كان مثال النضال و التحدي فقيل عنه أنه كان سيتأثر على الأخص الأمير خالد ليس بصفته حفيد الأمير عبد القادر و لكن لأنه ينطق باسم الشعب الجزائري، فهو كان رمز النضال الفكري الذي تجسد في تصريحاته لدى الصحيفة التي كان يترأسها فكان من المتفقين الجزائريين الذين تهمهم القضية الوطنية فكان دائم الجدل مع أحد رؤساء

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 63.

[2] المصدر نفسه، ص 69.

صحيفة الجمهوري الذي يدعى مورينيو فقيل : « بدأ الحوار الصحفي بين رئيس بلدية قسنطينة القوي مورينيوduainirom و الأمير خالد.كنا ننتظر مجلس الاقدام و الجهوي كل أسبوع ليتابع حوارهما لجمع من الأنصار حول حلبة يتبارز فيها بطلان»[1]فقال: أن هذا الجدل القائم بين كل من الامير خالد و مورينيو في الحلبة أدى الى حوار عنيف، إذ أن الأمير خالد الذي يترأس مجلة الإقدام كان الهدف منها فضح رجعية الاستعمار و سوء الإستغلال للشعب الجزائري.

فقد تحدى الأمير خالد الإدارة الإستعمارية و قام بفضح السلطات الفرنسية و لم يأبه إلى العواقب كما يكشف عن عمليات استغلال الفلاح الجزائري فهو كان رمز من رموز النضال الفكري الذي صرح بمعاناة شعبه و تأثره به، فاتبع دوره في التبليغ عن قضية وطنه الأليمة التي تأثر بها و ثابر من أجل أن يظهر اسم حق الشعب الجزائري حتى أن صوته وصل إلى باريس، كما قيل :« إدمنا باريس ليواصل مهددة المعادية للسياسة الفرنسية»[2]، فقد ضحى من أجل وطنه بنفسه و بمصيره ليحقق و يثبت حقوق المواطنين أي الشعب الذي ينتمي إليه فقد نفي من بلده و وضع حد لمسيرته النظالية. إد قيل :« أن الإدارة الفرنسية في تلك الفترة قد وضعت حدا للجدل بين خالد و مورينيو ، إذ عمدت إلى نفي الأول»[3]. فهو أبرز انتمائه لوطنه من خلال التبليغ بقضية الشعب الجزائري و فضح المستعمر المستبد المتسلط

كما وردت أيضا صورة المنتمي لوطنه من خلال علي بن أحمد الذي كان معارضا لكل من الاستعمار و المصاليين و الإصلاح فقد كان انتماءه من خلال عدم تتبع أي إتجاه و معارض له.فقال عنه مالك بن نبي : « كان علي بن أحمد ضد الإستعمار و ضد المصاليين لا يؤمن بوطنيتهم و ضد العلماء لا يؤمن بإصلاحهم و ضد السيد (أمين الحسني) مفتقدا فيه شيئا غريبا ، هو يدعي أنه دخل السجن فعوضه الاجليز بشخص آخر

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 93

[2] المصدر نفسه، ص 135

[3] المصدر نفسه، ص138

يشبهه وجها و يحمل اسمه و لا ينتهي (علي بن أحمد) عند هذا الحد، بل كان أيضا ضد القسنطينيين أبناء مسقط رأس والدته، لأنه لا يرى فيهم ما يتمنى من الخشونة »[1]. فانتمائه كان متجسد في عدم الوثوق في أي اتجاه إذ أنه يرى أن هذه الحركات الإصلاحية لا تجدي نفعا للوطن و ذلك بسبب الفجوات و الصراعات التي كانت بين المصلحين و المتفقين فقد كان لديه مزاج وطبع خاص، فقد سجن من طرف الانجليز الذي غير وجهته في الحياة لا يستطيع الوقوف في أي اتجاه، فقد كان ساخطا على كل شيء فقد كان يدلي بفكرته في أي شيء ففي إحدى المحاضرات لمسيو ميسيون قام و أعطى فكرته و واجهه و اتهمه بالكذب فقال في هذا : « عندما أعطيت الكلمة لعلي بن أحمد، قام بجنب منسنيون و ولى إليه و قال :

أيها الأستاذ إنك كذبت عندما قلت. ..... و قلت[2]

فهو لم يأبه إلى مكانة منسنيون و العقوبة التي سوف تلاحقه بسبب هذا الإدلاء.

كما نجد أيضا الجزائري المنتمي إلى وطنه من خلال صورة الأمير عبد الكريم الذي كان ثائرا على المستعمر الفرنسي الذي سلط نفوذه على الجزائر المستعمرة فقد شن حروب على الإمبراطورية الاستعمارية و ذلك باتخاذه ثورة ضده سميت بحرب الريف فقد زعزع الاستعمار فقيل في هذا : « لقد زعزعت حرب الريف مواقف حديدية في فرنسا في 1919. فقد اثبت الأمير عبد الكريم أن إمبراطورية استعمارية يمكن النيل منها. لذا كان لا بد من رأب الصدع المعنوي الذي اتخذه الأمير الريفي مع حفنة من الرجال في هيئة الأمم الاستعمارية.... »[3] فقد كانت حربه مع الجنرال سلفستر في مليلة الذي اعطى درسا للمستعمر و الجنرال و سحقه وانتصر عليه. فهو مثال للرجل الشهم الذي يحارب من أجل وطنه و يضطهد الأعداء فكان حبه و انتمائه لوطنه بارز من خلال الحروب التي يشنها ضد الاستعمار لكن كالعادة هناك منتمين إلى الوطن لا حبهم ليلهم ولا نزاعاتهم من قضية

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 302

[2] المصدر نفسه، ص333.

[3] المصدر السابق، ص128

وطنية الذي سلب منه إلى المستعمر الأجنبي كان هناك خونة غير منتمون أدى بهم إلى بيع الأمير عبد الكريم التي تمثل في الظريفة المرابطية التي باعته للمستعمرة.

ب. صورة الجزائري اللامنتمي :

فاللامنتمي هو ذلك الإنسان المبتعد عن الهم الوطني و المنغمس في شهواته و في تحقيق مآربه و أهدافه الشخصية فهو إنسان لا مبال يتجرد من الإنتماء إلى رغباته في الحياة، فهو لا يشارك في صياغة الأحداث و لا يعمل أيضا على تغييرها. فهو إنسان فاقد للهوية إذ أن مشكلة فقدان الهوية هي:« حالة مميزة اللانسان في المجتمع الحديث في أن تفرض لغتها على كثير من مجالات النشاط الثقافي، و في كثير من الكتابات الأدبية و الأعمال الفنية أصبح الإنسان المنطوي و اللامنتمي يظهر في هذه الاعمال (.....) يعاني عذاب الوحدة و العجز و عدم القدرة على التعامل مع غيره »[1] فهو انسان لا يتعلق بأي هوية و منطوي لا يظهر في مجال فهو عاجز و لا يستطيع أن يتعامل مع أي فرد.

كما نجد اللامنتمي لا يتعلق بأي هوية غير سلبية في الحياة و هذا يدل على عدم وجوده فهو لا شيء بالنسبة للمجتمع الذي ينتمي إليه ، فبهذا يعتبر قد انفصل عن ذاته فإذا خسر الإنسان آناه أو" ذاته " يصبح في حالة ضياع و لا وجود ولن يحظى بالإعتراف القومي، فيكون وحيدا مجردا من كل انتماء لا هو منتمي إلى نفسه و لا منتمي إلى أفراد جماعة، فهو إنسان مستهتر لا يحاول التغيير من حياة الآخرين من حوله إذ يهتم لمصالحه الشخصية فقط استغلالي.

فيظهر الأنا اللامنتمي في : صورة قاضي منطقة شاتودان الذي كان استغلالي صاحب رشاوي كما أنه من عملاء الإدارة الفرنسية فقال عنه : « القاضي فلم لديه هم في آخر إلا أن يزيد عدد الهكتارات التي يشتريها في منطقة

[1] فيصل عباس، الإغتراب الإنسان المعاصر و شقاء الوعي،دار المنهل البناني، بيروت،ط1429،1هـ/2008، ص 8

قالمة وطنه الأصلي، في كل عام من الموارد التي كانت تأتيه خارج مرتبه. ...»[1]. فقد كان رمز للامنتمي إذ أنه كان يطيع أوامر الإدارة الفرنسية فأعطيت له جائزة من طرف الإدارة الإستعمارية تهنئة على خدمته مع الإدارة و دعمها لها فقيل : « حين شاءت الإدارة الفرنسية ان تمنحه وسام جوقة الشرق مكافأة له على أخلاقه و فضائله فلقد قادوه إلى منزله في نهاية الإحتفال محمولا على عربة و هو ثمل »[2]. فهو مواطن غير منتمي لوطنه استغلالي تهمه سوى مصالحه الشخصية و كسب المال فقط فهو متجرد من قيم الأخلاق التي يمتاز بها أبناء بلده. فهو شخصية عاقة على أبناء بلده و خائن لوطنه.

كما نجد صورة اللامنتمي من خلال المثقفين الذين كان همهم الوحيد هو الوصول إلى الزعامة و السلطة و الذين كانوا في مهمة تطبيق أوامر المستعمر و ذلك لقضاء المصالح الشخصية، فقد وصلوا إلى مرحلة التواطؤ مع المستعمر كي يظهروا في أعلى مراتب السلطة و الذين تمثلوا في الانشقاقيين (الواقعيين) فقد كان زعيم الانشقاقيين " عمار نازون " الذي كان منشق وكان هدفه هو الوصول إلى السلطة و الذي عمل لمصلحة الإدارة الفرنسية الاستعمارية فقد قيل أنه كان « متصل بالإدارة الاستعمارية العليا المستعدة لتحقيق رغباته فقد كان عمار بن نازون على اتصال بالأوساط الاستعمارية المستعدة لتحقيق رغبات أي منشق »[3]

كمانجد أيضا أن مالك بن نبي قد أبرز تواطؤ الواقعيين في قوله بأن: «الواقعي هو الطالب المستعد لكل التواطؤات من الإدارة الاستعمارية »[4]

2. صورة الآخر الأجنبي "المستعمر"

من الطبيعي يمارس عامل الإستعمار وجود الأجنبي في البلاد المستعمرة تأثيرا على شعبها وذلك بتأثيره على تكوين صورته وأيضا في فكره وكذلك تأثيره في الفكر الروائي لأننا بصدد التذكير على سرد شخص لمذكراته فهي

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 191

(2) مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق ، ص 191

(3) المصدر نفسه، ص 237

(4) المصدر نفسه، ص 237

عبارة عن سيرة ذاتية للمفكرها مالك بن نبي التي تهذف الى ابراز ذاتيته وطنيته، فنجد أن مالك بن نبي قد تفاوت في نظرتة للأخر الفرنسي الأجنبي بين مسالم (انساني) ومعادي (عدائي له) "إنساني: إيجابي" و"استعماري:سلبي".

فقد أولى الكاتب:" اهتمام يتفرع العلاقات الإنسانية التي تقوم على المودة وحسن الحوار مما يرسم للمسلم صورة مشرقة في انفتاحه على الآخر دون أن تكون هذه الصورة على حساب الأخر"[1] إذ أن الكاتب يصور لنا هذا الإنسان الأجنبي دون أحكام مسبقة على أنه شخص له سمات الخير كما له سمات الشر، فنجده مختلف عن المسلم في اشياء كما انه يشبهه في اشياء اخرى، فهذه الصورة متعلقة بالأديب الذي عايش هذا الواقع فقام بإبرازه من وجهة نظره هو وبموضوعيتة. فالمستعمر الاجنبي من وجهة نظر الأديب قد يكون مسالما وقد يكزن العكس أي معاديا.

فقد جاء المستعمر "الفرنسي" بصوره الإنساني وصورة المعادي.فمن هنا يمكن ان نعطي صورا لكل منهما من خلال المذكرات :

أ. **صورة الأجنبي الإنساني:**

ب. فالأديب في هذه الصورة اعطى إيجابية للآخر وذلك باعتباره مسالما إنسانيا فقد حاول أن يقدم لنا صورة الأجنبي الفرنسي بوصفه شخصية إنسانية مسالمة، وذلك بإبراز بعض الصور الإيجابية للأجنبي مثل صفات حسن الأخلاق، والتآزر مع الطرف الآخر "الجزائري" كما أنه لا يحمل الحقد على الجزائريين، ولا يحتقرهم ولا يحتقر أيضا مقوماتهم الثقافية، ومتعلقات هويتهم وانتمائهم،أيضا فيتواصل معهم بصفة إنسانية وليس العكس. فنجد هذا النموذج في المذكرات للموظف الأجنبي المهجر إلى الجزائر الذي لم يتوانى عن العمل الطيب تجاه المواطن الجزائري، فقد كان مثال للأجنبي المسالم

[1] نجم عبد الله كاظم نحن والآخر في الرواية العربية، دار ألفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م، ص 72.

الذي يدرس الجزائريين ويقدم لهم يد المساعدة في طلب العلم والمعرفة حتى قيل أن له الفضل في تعليم أجيال جزائرية كثيرة فقال عنه (الصديق)" لقد عرف مسيو مارتان MARTEN فورا عمي تلميذه القديم وعند تقديمي إليه كان يبدو سعيدا برؤيتي تلميذا له بعد أبي وعمي"[1]

فقد كان نعم المعلم فهو لم يعامل المستعمر على انه عدو له بل قام بتعليمه و طبع في نفوس التلاميذ الذوق وفن الكاتبة فنجده يقول عنه:"كان هذا المعلم يثري تلاميذه بالمفردات ويطبع نفوسهم الذوق وفق الكتابة، وكان يقرأ لنا أحيانا القطع الجيدة"[2]. فلم يبخل على التلاميذ على الرغم من أنه لم يكن من أصل جزائري لكنه أحسن إلى التلاميذ دون تفرقة ولم يميز بينهم فقد كان يثري جميع التلاميذ على حد سواء فقد قال عنه مالك بن نبي "الصديق"الجزائري الذي كان يكن له الفضل في مساعدته له كما تأثر به وبحسن معاملته ومساعدته له فقال: لقد طبع في نفسي هذا الإستماء لذوق القراءة ففي مساء كل سبت يعبر الكتب للتلاميذ..."[3].كما انه لم يغير شيء في أسلوب تربية التلاميذ في المنازل من طرف الأهل،فقد كان ملتزما في معاملة التلاميذ كما احترم كل متعلقات هويتهم وإنتمائهم وإختيارهم الديني وتعامل معهم بصفة عادية ولم يحقد على الذين الذي يتبعونه فقد ترك التلاميذ حسب طبيعتهم فقال عنه:" ان فريق المدرسين عند مسيو MARTEN يميزهم خصوص شعور ذيني يأخذهم في قليل أو كثير..."[4].فهو مسالم مع الجزائريين خصوصا فئة التلاميذ الذين يدرسهم ولم يقسى عليهم في الحياة الدراسية كما قام بمساعدتهم في بدايات حياتهم الدراسية فكانوا يكنون له الحب.

كما تحدث في هذه الصورة أيضا عن المرأة اليهودية التي كانت تدير المطعم فقد تميزت بإنسانيتها للوطن الذي يعبر عدو للآخر، فقد قدمت يد المساعدة على الرغم من إختلاف الإنتماء والهوية، فقد كانت تقدم

---

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص47

[2] المصدر نفسه، ص48

[3] المصدر نفسه، ص48

[4] المصدر نفسه، ص48

الطعام يوميا لصغار الموظفين في المنطقة " شاتودان" فقال عنها:" كان في المدينة إمرأة يهودية عجوز إتخذت من دارها لتعيش هي وزوجها دائم السكر نوعا من المكان، تقدم فيه طعاما يوميا لصغار موظفي المنطقة، صغار (حماب CHEOUCH) المستعمر أولئك الذين لا تسمح لهم إمكانياتتهم بارتياد المطاعم الأوروبية"[1]

فهي مثال عن المرأة المسالمة التي تعيش في بلد الآخر تساعد شعبه وتتعاطف معه بدافع الإنسانية ولا تتعامل معه باعتباره من الطرف الآخر، فقد كانت تشفق وتطعم الجزائريين الذين لا تسمح لهم إمكانياتهم من الأكل في المطاعم الأوروبية حتى أصبح هو واحد من زبائنها الدائمين فقد كانت تذكره بشيء إنساني في وسط غير إنساني في شاتودان فقال"كانت طباختي اليهودية تذكرني بشيء إنساني في وسط غير إنساني وأعتقد أنها إستسقت ما يدور في خلدي من أفكار"[2]

كما يجد صورة مدام مورناس المسالمة أيضا والذي اعترف بفضلها عليه واحتضانها له كصهر وليس كعدو فهي كانت حماة الصديق والتي كانت من أصل باريسي فهي فرنسية الحثية،قد إستقبلته إستقبال جيد إد قال عنها: " استقبلتني امها "ام خديجة" مدام مورناس استقبالا حل كل عقدة بيننا"[3].

كما نجد أيضا السيد مورناس الذي كان زوج مدام مورناس أبو زوجته "خديجة" فقد كان مسالما أيضا وهو رجل قروي من أصل فرنسي أيضا إنه استقبل زوج ابنته "الصديق" ولم يعامله كمعادي له بل استقبله في بيته كصهر.

ت. صورة الآخر الأجنبي الإستعماري "العدائي"

فهو الاجنبي الرافض للقضية الجزائرية الذي يحقد على شعبها ويكره الجنس العربي ككل فالفرنسي يظهر في هذه الصورة على أنه قاسي القلب والمعاملة فكيف يكيف نفسه بذكاء ومكر مع أي موضع إستغلالي وأناني

(1) ا مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 191.
(2) المصدر نفسه، ص 192.
(3) المصدر نفسه، ص 269

يجعل قيمة الخير قيمة خاصة به وحده لا يتمناها لغيره من بني البشر " فهم يتميزون بجبن لا مثيل له يستترون عليه بإتباع التآمر والخيانة والغدر لا التزام لهم ولا عهد يمكن الدخول معهم فيه"[1]

فنجد صورة الإستعماري المعادي في ملامحة الإستعلائية يسمو مكانته دون غيره من البشر فهذه القوة التي كان يتميز بها تمثلت في ضباط الإستعمار الذين كانوا يدخلون إلى المدينة لهتك أعراض الصبايا في المدينة فقال عنهم مالك بن نبي :"فيما كان الفرنسيون يدخلون المدينة في كوة في السور، كانت صبايا المدينة يسرعن بهن أبائهن إلى الجهة الأخرى منه يتدلين هربا منه"[2]

كما نجد معهد الدراسات الشرقية فقال في هذا أن مدير المعهد كان يظهر الكره والضغينة الموطن الجزائري والمسلم خاصة إذ ان الصديق عند إجتيازه للإختبار كانت النتيجة خيبة من الأمل فهو لم ينجح فهذا كله بسبب مدير المعهد الذي عامله كعدو إذ قال له:" إن الدخول إلى معهد الدراسات الشرقية لا يخضع بالنسبة إلى مسلم جزائري_ لمقياس علمي وإنما لمقياس سياسي"[3]. فهذه الكلمات تبين أن هذا المعادي المتمثل في مدير المعهد تمثل في عداوته للمواطن الجزائري فهو حقود يكن البغض والعداوة لكل مستعَمر مسلم.

كما نجد أيضا هذه الصورة تجسدت في مدير شؤون الطرق بتبسة عندما ساله، عن شروط الإسهام في المزايدة التي تجري كل سنة تحت اشرف لإصلاح الصدق أو لفتح طرقات جديدة فبين الوجه الآخر الإستعماري المعادي ورد عليه بكلمة تدل على حقده وعدم حبه له فهذا دال على أن المستعمرين يحقدون على المستعمر الجزائري ولا يريدون له المضي قدما إلى التطور والمواكبة سواء بسبب كونه سلم أو كونه فلاح indejenجزائري. فقد قال في هذا، أنه نموذج عن المعادي الحاقد على الآخر الجزائري سواء بالنسبة لمدير الدراسات الشرقية أو مدير شؤون الطرق بتبسة فقال:" كلا من الرجلين المدير المتواضع لشؤون الطرق ومدير معهد الدراسات الشرقية إنما

---

[1] نور الدين آفاية، الغرب المتخيل لصورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص 61.

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 15.

[3] المصدر السابق، ص 216.

يتكلمان لغة واحدة لغة الإستعمار فهذا حرمني من ان أصبح مما ولا في مصلحة الطرق وذلك حرمني من فتح مكتب محاماة تبسة بعد سنوات الدراسة في باريس"[1]. فهذا يدل على ان المستعمر الأجنبي لا يريد للمواطن الجزائري المسلم أن يحقق فرص له في الحياة و في أي مجال و لا يريد أن يرى المواطن الجزائري indejen متفوق.

وها هو أيضا الكورسيكي الأصيل الذي كان معاديا أيضا يكره نظيره الجزائري "الصديق" فهو يكن عداء له طول مدة خدمته لدى محكمة شاتودان فقد كان حاقد عليه بسبب غيظته أن مواطن جزائري لا يخضع لقوانينه السيئة فقال:" كان يكيده أن جزائري indejen لا يحييه وهو يلتقي به في الطريق، وكنت فعلا لا أحييه لأني لاحظت بأنه هو الآخر لا يرد التحية..."[2] فهو نموذج للأجنبي المستعمر الحاقد المتحجر التي يكيف نفسه على إيداء المواطن الجزائري بشتى الطرق ومهما كلفه الثمن.

وأيضا تجسدت صورة المعادي في لمحافظ بورد "BoRDERS" الذي كان معاديا للوطن إذ انه اخذ المبالغ المخصصة لبناء المدارس لأبناء المستعمرات وأخذ جزء من هذه الموال لنفسه فقيل أنه احتفظ لنفسه بجزء لابأس به:"قرر أن يستعل الباقي في إعداد الملابس العسكرية التي تعود إلى سنة1830 للعرض الذي سيقام يوم الإحتفال المئوي تلك الذكرى"[3]. فهذا يبرز عدواته للأخر الجزائري إذ أنه لم يكترت إلى الشعب الذي تغلب على حياته طابع الأمية والذي يكافح من أجل تخطي هذه الظاهرة وذلك ببناء مدارس للأولاد للتعليم أما هو فقد أخذ هذا النصيب من المال وصرفه على أشياء ليس لها قيمة بل لا تخدم أي مصلحة سوى الإحتفالات فهو يكمن في الوجه المعادي الذي يحارب التعليم ويطمح للقضاء على الآخر الجزائري والقضاء على مختلف مقوماته ويطمح أيضا إلى تجهيل البلاد.

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 217.

[2] المصدر نفسه، ص 192.

[3] المصدر نفسه، ص 195.

كما تجسدت أيضا في صورة الآخر المعادي الفرنسي الذي تجلي في الإدارة الفرنسية التي كانت استغلالية معادية للوطن الجزائري وللطلبة الجزائريين في فرنسا، فقد كانت تعمل على إيقاف مشاريع المسلمين، فقد عملت وخططت بزرع الفتن والروح الفرنسية بين الطلبة إذ نجحت في ذلك من خلال ظهور اتجاهين من الطلبة الإنفص

اليين والمتاليين فقد قامت بكسب الإنفصاليين إلى جانبها وأصبحت تسخر الإنصاليين لخدمتها فقيل "كانت الإدارة الإستعمارية بالمرصاد تعمل على أخفاق المشروع وتسخر من أجل ذلك الإنفصاليين من الطلبة الجزائريين المتصلين بالبربرية، وبعضهم تمسكوا بمسيحية جوفاء إنقادوا إليها بغية الدنيا بدوافع إنتهازية صرفه"[1]. فهذه الإدارة كانت تلبي طلبات الطلاب لتزيد من حقوقها لتلبية مصالحها السياسية أيضا.

كما بدا الأجنبي المعادي في المذكرات أيضا في اصحاب متجر كبير لبيع الملابس يدعى متجر " ألبا" الذي كان يبيع الملابس الجاهزة في فرنسا على مقربة من شارع "تريقير" في مقتطع شارع " مونت ماتر" وشارع "سان دونيس" فأصحاب هذا المتجر قد غلفوا على وجه العمارة التي تبني بجانب الدار لافتة كتب عليها اسم الرسول بنوع من الإستخفاف إذ قيل " أن دار إلبا قد علقت وجه عمارة تبنى الأن امامها علاقة ضخمة يذكر فيها اسم النبي بنوع من الإستخفاف؟"[2]فقد تبين الوجه المعادي لهذا المتجر من خلال الإستخفاف بقول سيدنا محمد وأيضا إذ أن الإسلام يكمن في الإيمان الذي يشترط فيه الإيمان بالله والرسل والكتب وغيرها.لكن هذا المتجر قام وأستخف واستنكر الإسلام والدين الذي جاء به سيدنا محمد من خلال الكذب والتلفيق والتحريف في قول الرسول إذ قيل ان اللافتة كتب عليها قول: ". .. ومحمد مات بعد ما اعترف أن لا إله إلا ألبا"[3]. فهذا البيت الدال على القول الزائف الذي نسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكان وجه من وجوه العداوة، كما استنكر

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 227.
[2] المصدر نفسه، ص228.
[3] المصدر نفسه، ص229.

وجود الله سبحانه وتعالى وحرف القول الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم المعترف بالوهية الله على العالمين من خلال قوله "لا إلاه إلا الله" لكن هذا المعادي لله والرسول تطاول إلى مكانة الله سبحانه وتعالى

3. صورة الأنا الأيديولوجي

الأيديولوجي هو الشخص الذي تدور حوله فكرة عامة متعلقة بهويته وملازمة لحياته وميوله الشخصي، إذ يسعى جاهدا لتحقيقها، كما له أهداف يريد الوصول إليها فنجد الأيديولوجي، أو كلمة الأيديولوجيا " منظومة من الأفكار التي تتجلى في حكايات مؤلف ما وتعكس نظرية إلى نفسه وإلى الآخرين تشكل مدرك أو غير مدرك، ولكن الأيديولوجيا بالمعن العام تعني منظومة الأفكار العامة السائدة في المجتمع"[1] فقد تأتي نزعة المؤلف وتياره الفكري في نصوصه ذلك لتبين وجهة نظره من خلال ابراز اهم القضايا الاجتماعية والمواقف الإنسانية إزاء أمور اضطر إلى إعطاء وجهات النظر حولها.

أما بالنسبة إلى المنظور الأيديولوجي فهو عبارة عنً الرؤية الفكرية التي تحكم عالم الرواية، هي رؤية قد تكون خاصة بالمؤلف فيمررها عبر الراوي أو غير الشخصيات بطريقة تجهلها دائما هي السائدة فإما أن يعلق الراوي دائما على الشخصيات والأحداث معديا رأيه فيها عند كل فرصة تنتج، وإما أن يترك التعليق للشخصيات، فيختلف وجهتي نظر أو أكثر تتسنى كلا منها شخصية ما"[2]. فهذه الرؤية قد تؤدي إلى اتفاق في وجهات النظر أو العكس،كما نجد شخصية المؤلف في أغلب الأحيان هي البطلة ذات الطابع الفكري أو الأيديولوجي والمدافعة عنه.كما أن هده الرؤية موضوعية لفتح المجال أمام التعددية الفكرية والتي تتجسد في الشخصيات.

فالأيديولوجيا " تعني مجموعة من الأفكار الموجودة في ذهن شخص ما يسعى إلى بلورتها في مخيلته ومن ثمة محاولة تحقيقها، كما قد تحمل معنى الإنتساب إلى توجه محدد كان قد تأثر به وأعجب به،إلى جانب هدين المعنيين

---

[1] برهان غليون وسمير أمعين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر ودار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت، ط1، 1420هـ /1999م، ص 227.

[2] عبير حسن علام، شعرية السرد وسيميائية في مجاز العسق، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط2، 2012، ص 253.

هناك منظور آخر ينظر إلى الأيديولوجيا من منظور علمي فيغيرها علم التصوريات أو علم البحوث التصويرية أو علم وضع النظريات بطريقة حالمة أو غير حالمة"[1]. فالأيديولوجيا قد تعني مجموع الأفكار الموجودة لدى الشخص من المنظور الأدبي،كما تعني مجموع التصورات أو علم التصوريات والبحوث التصورية في المنظور العلمي.

فمن هذه التعاريف يمكن القول أن الأنا الأيديولوجي هو الشخص الذي يؤمن بكل ما يدور من حوله من معتقدات وتصورات داخلية متصلة به، وبحياته وبثقافته وهويته بصفة عامة، فهو يحمل فكرا و منضورا خاص به تجد فيه الطبقات الإنسانية حاجتها لإسترجاع الهوية، فهو في الغالب شخص له ميولات قومية تحمل قناعاته المطلقة وما يؤمن به من معتقدات ليواجه رؤيته لانتمائه في هذا العالم مع رؤية الآخرين

فيخص الاديب صورة الأنا الأيديولوجي للمواطن الجزائري، الذي يحمل فكرا هادفا يثبت به هويته الضائعة والمسلوبة من طرف المستعمر الأجنبي، وهذا ما تلمسه في مذكراته فهذه الصورة يمثلها الصديق مالك بن نبي الذي كان يبحث أولا عن حل له حول مستقبله عند الإنتهائه من الفترة الدراسية كان يطمح إلى السفر إلى فرنسا، فقد كان يطرح السؤال نفسه على مستقبلة وأنه أيضا لا يريد الرجوع إلى تبسة إذ كان هذا مجرد إقناع النفس حول السفر إلى فرنسا وبداية حياة جديدة مع صديقه في وسط آخر إذ قال في هذا الشأن وهو محدثا نفسه " كان هناك أمر أكيد هو أنني لا أريد العودة إلى تبسة بأي ثمن ماذا أفعل بها؟ هكذا كتب أتسال نفسي لأقنعها، ولكن من أجل الذهاب إلى فرنسا، وإذا إفترصنا أنه سمح لاثنين من أبناء المستعمرات بالنزول من الباخرة إلى البحر الفرنسي، فإن الأمر يتطلب شيئا من المال ومنحتنا الأخير من المدرسة لا تكفي لهذه الرحلة"[2]

كما ظلت هذه الفكرة متصلة بفكر مالك بن نبي " الصديق ومسطرة عليه إذ قام في مقابل السفر إلى فرنسا أن يبيع من أدواته التي كان يملكها فقال :" لقد قررنا أن نبيع أدوات النوم التي نمتلكها، وكسب منا بوكاميه

[1] عبد الغني عبود، العقيدة الإسلامية والأيديولوجيا المعاصرة، سلسلة الإسلام وتحديات العصر،الكتاب الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1980م، ص ص 19، 20.

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 139.

فراشينا وغطاءينا الجميلين بسعر منخفض، كان ذلك بكل بساطة بابا قد افتح أمامنا على العالم، ففي الجزائر الأبواب كانت موصدة"[1].فقد كان مالك بن نبي "الصديق" يرى في فرنسا الملجأ وبابا يفتح على العالم والخلاص من عيشة النكد التي يراها في الجزائر.

كما بقي متمسكا بهذه الفكرة التي تبقى حلمه الكبير وكان تفكيره الأساسي هو الذهاب إلى باريس وإكتشاف آفاق جديدة مخالفة عن الجزائر فقال:" كان تفكيرنا الأساسي أن نمر فقط بباريس لنذهب مباشرة لإكتشاف عالم آخر، كانت آفاق كل من الإكتشافات والمغامرات الباعثة على الحامسة ترتسم أمامنا"[2] ففي هذه الحماسة التي كانت تلمس نفس كل من مالك بن نبي في "الصديق" وصديقه قاواو اللذان بدأ يتدربان ويشرحان لبعضهما كيف تكون شخصيتهما في وطن الآخر فقال:" ثم شرحت لصديقي من جانب آخر أنه ينبغي أن بعد أنفسنا لمقامنا في فرنسا أيا كانت مدته، قبل أن تولي شطر المغامرة الكبرى"[3].

فقد كان شعوره النفسي تجاه السفر على ظهر السفينة عظم إذ قال كان في نفسي شعور بأنها رحلة عظيمة كتلك التي قام بها كولومبيس وهو يكتشف العالم الجديد"[4]

كما تحدث عن الوضع الذي قابله في باريس من طرف الحكومة الفرنسية وقد كانت تشدد في مراقبتها لإبناء المستعمرات بسبب الحروب والجهود المعادية للسياسة الإستعمارية فقد لاحظ الصديق ان هذه الظروف التي كانت سائدة في فرنسا في تلك الحقبة كان يجهلها هو وصديقه فقال:" ومن المؤكد اتنا عند نزولنا في فرنسا كنا انا وصديقي "قاواو" نجهل هذه الأمور، ولكنني الأن أعرف أن ذلك كله قد أثر فعليا في مجرى مغامرة مدرسيين فارين من الجزائر"[5] فهو يعترف أن هذه الأفكار التي إجتازت البحر المتوسط قد كان لها تأثير على أبناء المستعمرات

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 139.

[2] المصدر نفسه، ص 139.

[3] المصدر نفسه، ص 140.

[4] المصدر نفسه، ص 141.

[5] المصدر نفسه، ص 148.

وذلك من طرف الإدارة الإستعمارية التي شددت في المراقبة وطريقة التعامل مع أبناء المستعمرات والذي كان هو وصديقه من بين هؤلاء.

فقد عاد إلى الجزائر بعد أن أرسل إلى أهله برسالة استغاثة إذ أنه لا يستطيع العيش وسط هذا العالم كما لم يجد عملا مناسبا له فقرر العودة إلى الجزائر إذ قال :" لم أعد أستطيع صبرا فأرسلت بنداء الإستغاثة SOS..."[1].

ثم اعاد نفس السؤال الذي سبق ودار في ذهنه وهو ما العمل إذ قال:" عدت إلى الجزائر حاملا معي السؤال: ما العمل؟ ذلك السؤال الذي دفعني إلى المغامرة البائسة التي عشتها مع "قاواو"

إذ بقي هذا السؤال الذي يطرحه على نفسه:" ما العمل"[2] ثم عاد ورجع إلى فرنسا مرة أخرى وهنا بدأت حياة مالك بن نبي والتي كانت زاخرة يتجارب ثرية وعلاقات واسعة، وقد اتسعت في مذكراته تفاصيل هذه المرحلة وما اكتشفه من مثابر واجتهاد وتطلعات منذ ذهابه إلى باريس وإنخراطه بالمجتمع وما سرده في تحديد تاريخ ذهابه للدراسة في باريس فقد سرد ما تعرض له في الأيام الأولى، كما تضمن جانب من ممارسة بعض المثقفين السياسيين واعترافه بالاخطاء التي ارتكبها خلال هده المرحلة والتي تخللتها احدات سياسية مهمة

وأيضا تحدث عن مختلف مثالب النفس وعن وجهات النظر الخاصة به فنجده مثلا عند حواره مع أسرة صديقه " كريك" الذي قال أنه تناقش مع الأسرة حول نظريات فرويد في الإعلام، وانطلاق كل واحد يذكر بعض ما رأي فقال في هذا " رحنا ذات يوم نتحدث عن نظريات فرويد في الإعلام، وانطلق كل واحد يذكر بعض ما رأى فذكرت بدوري:

- إني رأيت مناما: أصعد إلى النجوم...
- وإذا بكبرى البنتين تقاطعني:

صحيح؟ هل صحيح أنك رأيت هذا؟

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 156.

[2] المصدر نفسه، ص 158.

كررت السؤال مرتين أو ثلاثا، وقبل أن يرجع لي نفسي قالت: إذا كان صحيحا فإنك ستصير رجلا مشهورا.[1]

فهذا الحوار الذي دار بينه وبين البنت الكبرى حول حلمه ووجهه نظره حول الإجابة التي صرحت بها البنت التي تركت في نفس مالك بن نبي رؤيا وهي أنها كانت من العهد القديم فقال:" ففهمت أنها تؤمن بالعهد القديم أكثر مما تؤمن بفرويد، فقد فسرت الحلم بكل وضوح حسب قصة يوسف في كتاب المقدسين"[2]

كما طرح رؤيته الفكرية الخاصة به وذلك حول فكرة الذين الإسلامي واليهودية إذ قال :" إذا بزلة لسان تكشف لي فجأة، عن أن السيدة لا تعلم تاريخ النبوة في العهد القديم فحسب، بل تؤمن بهذا الكتاب كما أو من أنا بالقرآن"[3]. إذ قال " لماذا لا يريد اليهودي ان يكشف عن ذاته؟[4]

فيذكره هدا بحادث آخر عن هذه الأسرة، حيث دق جرس الباب فترك وحده مع طفل صغير من الورشة فقال أن:" ان الطفل كان يبتسم لي فداعبته"

- لماذا يبتسم؟
- لأن أمي قالت لي أن أبتسم للناس ولو كرهتهم

فقد قال بأن هذا الإعتراف ترك في نفسه بعض الحيرة": فهذا الإعتراف البريء لطفل في الثالثة أو الرابعة من عمره، وإعتذار قريبته عن زلة لسان من يوم سبق، تركا في نفسي بعض الحيرة: لقد بدأت المشكلة اليهودية تتكون في ذهني"[5]

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 225.

[2] المصدر نفسه، ص 225.

[3] المصدر نفسه، ص 225.

[4] المصدر نفسه، ص 225.

[5] المصدر نفسه، ص 226.

كما عبر أيضا في المذكرات عن إيديولوجية السياسية وأفكاره الإصلاحية والوطنية فقال: "لم تكن الجزائر بعيدة عن ذاكرتي جدا، إذ بقي بيني وبين الوطن الرابط الروحي قويا مازالت اعبر عن أفكاري الإصلاحية وأفكاري الوطنية وأجهر بموقفي ضد الإستعمار"[1].

فقد أنظم إلى الحي اللاتيني الذي كان في تلك الفترة ميدانا للصراع الذي يهدف كلا الطرفين إلى توحيد الصف بين طلبة الشمال الإفريقي للمسلمين فقد اعلن انضمامه إلى هذا الحي وإلى هذه الوحدة ولكنه أخفي شيء في نفسه وهو انه بهذا يريد هدفا وهو أن يكون حلقة وصل بين الوحدة وبين حدة الشبان المسيحين الذي كان عضوا فيها بعد مجيئه إلى فرنسا والذي كان هو المسلم الوحيد وسط هذه الموحدة فقد قال: " أعلنت انضمامي ولكنني أخفيت شيئا مقررا في نفسي، وهو أنني عندما تنتصر فكرة الوحدة سأكون حلقة الوصل بينهما وبين (وحدة الشبان المسيحيين البارسيين) ليتلقى فيها بنو قومي دروسا في أمور ربما عجزت حينذاك عن تسميتها، وإنما أسميتها اليوم دروسا في الفاعلية وفي الأسلوب أو بكلمة واحدة:في "الحضارة"[2].

فقد قال بأن هذه الفكرة أو الأمنية التي تكمن في نفسه هي رغبته الوحيدة في تلك الفترة فقال:" كانت رغبتي في تلك الفترة، ولكن لم تسعفني الظروف على تحقيقها، اد لم يتبعني في المغامرة على تلك الضفة المسيحية إلا محمد بن الساعي وهادي نويرة"[3].

فقد أبدى وجهة نظره حول النخبة الإسلامية وصرح بملاحظاته حولها فقال بأن الصراعات القائمة بين الطرفين وحبهم إلى الزعامة أدى إلى طول فترة الإستقلال وإلى ظهور أيضا مشاكل بعد الإستقلال بسبب حب الوصول إلى السلطة.فقال:" لا أدري ان لاحظت- ولكن كان بإمكاني أن ألاحظ من هذه المناسبة أن النخبة الإسلامية قد استولى عليها حب الظهور في المراتب السياسية، فقد أهملت المشكلات الرئيسية التي يواجهها العالم

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص226.
[2] المصدر نفسه، ص227.
[3] المصدر نفسه، ص228.

الإسلامي اليوم، بينما لو كان لهذه النخبة نصيب من الإدراك والنزاهة والتواضع لحلت تلك المشكلات منذ ثلاثين سنة ولكن القوم كانوا يتصارعون على أن يصبحوا (زعماء) وأبطالا في المعارك الانتخابية، فسلكوا بشعوبهم ملتويات السياسة ومنعرجاتها بدعوى أنهم يختصرون الطريق، في حين أنهم زادوا في طولها"[1].

ففي تلك الفترة كان يحس ن الدعوة للإصلاح والوهابية والوحدة المغربية هي هدفه في الحي اللاتيني لكن اختلفت نظرته في هذا الموضوع وأصبح يرى الإشياء بعد مرور الوقت بشكل أوضح اذ فقال:" إنني اليوم أرى هذا بكل وضوح، أما في تلك الفترة البعيدة فكان حسبي أن أدعو فقط. فدعوت في الحي اللاتيني للإصلاح والوهابية والوحدة المغربية أي للشعارات المختلفة التي كانت تغطي معنى واحدا (الإسلام)"[2].

كما كان موقفه من المثقفين أيضا الذين كان إهتمامهم يندرج حول مصالحهم الشخصية فقط مثل عمار نارون الذي كان يعمل لمصلحة الإدارة الفرنسية والذي كان من المثقفين فقال عنه مالك بن نبي مبديا رأيه فيه أنه كان "على رأس المنشقين الذي يعمل بايعاز الإدارة تحت إشراف رئيس المجلس البلدي لمدينة باريس المسيو كولين، وكان على اتصال بالأوساط الإستعمارية العليا المستعدة لتحقيق رغبات أي منشق، وكان صدر أكثر من طالبا جزائري يجيش بالرغبات"[3]

فيظهر أنه معارض لفكرة الاستقلال وأخد منصبه الثقافي (مثقف) للوصول على تحقيق رغباته التي كان يطمح إليها، ولذلك بمساعدة الإدارة الفرنسية على ذلك

كما تحدث عن الفجوة التي كانت سائدة في تلك الفترة وذلك بسبب بحث المثقفين الجزائريين عن المراكز المرموقة فقد تحدث مالك بن نبي عن أحد المثقفين كان بدوره يبحث منصب سياسي وذلك حسب وجهة نظر

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 228.

[2] المصدر نفسه، ص228

[3] المصدر نفسه، ص227

مالك بن نبي وحسب معتقدة فقال: " وصل بدوره " كسوس" وأراد ان يكون ان يكون لهذه المناسبة صدى يذكر، لأن الرجل كان على ما أعتقد يتطلع إلى منصب سياسي"[1]

كما قال أن هناك فريقين في تلك المرحلة فريق المثقفين الذي كان متواطئ مع الإدارة الإستعمارية وفريق المثاليين الذي كان رافض الإدارة الإستعمارية فقال: "فريق الوقعيين مثل عمار نارون الذي كان على رأس المنشقين وفريق المثاليين، مثل (بن الساعي) ومثلي.

ويجب هنا أن نحدد مصطلحنا: فالواقعي هو الطالب المستعد لكل التواطؤات مع الإدارة اللاستعمارية والمثالي هو المستعد لرفض كل تواطؤ"[2]. فهو هنا يريد ان يبرز الفجوة والانقسام الذي طرأ على المثقفين المؤيدين للاستعمار والمعارضين له

كما صرح مالك بن نبي عن المسخ الذي أصاب السياسة من البلاد الإسلامية فقال: "إن الحلبة السياسية قد حققت مدخلا في البلاد الإسلامية معجزات من المسخ"[3].أي أنه ذكر بأن السياسة التي كانت تتصارع في تلك الحقبة من الزمن أصبحت نفقه في الإسلام وشروطه وأحكامه دون العلم بالفقه، وأصبح المسخ والنسب لغير موضعه من مميزات العالم الإسلامي.

ذكر أيضا الإستجواب الذي تعرض به من طرف بوليس فرنسا إذ أنه قام بطرح أسئلة حول وضعه في فرنسا ووضعه في بلاده في تبسة وحول أسرته فقال بأنه هذا الحادث الذي دار بينه وبين رجل البوليس لم يضع في ذهنه أي صلة بين هذا الحادث ومحاضرته أمام الطلبة إذ أنه قام بإلقاء محاضرة على الطلبة تركت صدى كبير، فقال:" لم أضع في ذهني أي صبة بين أي صلة هذا الحادث التافه ومحاضرتي أمام الطلبة وخصوصا بينه وبين مركز

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 237.
[2] المصدر نفسه، ص 237.
[3] المصدر نفسه، ص 238.

آلي الموظف الصغير في الجزائر ولا بينه وبين مستقبلي"[1].

فقد كان لمحاضراته على الطلبة الواقعين تأثير على حياته وعلى حياة عائلته ومستقبله هو بحذ ذاته، فقال: فبعد بضعة أيام دق جرس الباب الذي نبأ من تبسة، يخبرني والدي أن رئيسه حاكم المدينة، أمر بنقله إلى مكان آخر"[2]. فهذه المحن التي أصابت أهله بتبسة دون أن يشعر بها لم تغير في سلوكه بل إزداد تصلبا إذ قال بأنهده الأحداث نفسها كانت تزيده تصلبا وتحديات في نظر للإدارة الإستعمارية التي بدأت في ذلك الشهر بالذات شهر بنشاط عام 1932 تولى إهتمام في الأوساط الطلابية يهدى حدث وقع بالعاصمة الجزائر حيث أمر الحاكم منع أي نشاط لجمعية العلماء المسلمين في مساجد الوطن

كما تحدث عن نجم شمال إفريقيا الذي كان بارزا بأكثر ما يمكن من الأبهة والأخلاق حسب رغبة مصالي الحاج فقال:" و لم أكن أعلم أن هذه الرغبة السامية كانت العرض للمرض الجديد الذي سيجتاح الجزائر والذي سيبدد كل طاقاتها في الظهور والتظاهر والمظاهرات كأنما لم يكن، في خطر ترعم سوى هذا الويه من النشاط السياسي الذي استولى على الوطن طيلة ربع قرن"[3].فهو يجسد القول بان هذا المرض الذي ظهر في الرغبات التي يريدها مصالي الحاج والتي كان الفضل في توعية الشعب الجزائري إزاء بعض المشكلات المطروحة للنقاش حول مصير الشعب إلا أن مالك بن نبي صرح فيما بعد بان هذه الإنطلاقة كانت خاطئة لأنها لم تبدأ من نقطة الصفر بل انطلقت من ميدان المعارك الطاحنة فقال في هذا " إنني لا أرى في تلك الحركات الحزبية مدرعا لخطوات الشعب نحو الثورة في النهاية، بل على العكس أراها مسؤولة عن تعطيل أدائها إلى ما بعد الحرب العلمية

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 239.
[2] المصدر نفسه، ص 241.
[3] المصدر نفسه، ص 245.

الثانية.."[1].فقد قال بأن هذه النشاطات أدت إلى تعطيل وتأخير المطالب في الحرية إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.

كما تحدث عن مصالي الحاج الذي كان يرد اللوم عليه إذ يقول :" لولا مصالي الحاج التي لا ولاه ولو لا تدخله لما وجدت الجزائر نفسها أمام الكثير من المشكلات التي عانتها بعد الإستقلال 1962"[2].

ففي بادئ الأمر كان من معجبيه عندما قدم خطابه الذي أعجب به إذ قال:" أعجبت به بقدر ما كان ينسينا ركاكة المثقفين حتى إنني عندما قال فقد يكون تفاوت بين الأفراد ولكن لا تفاوت بين الشعوب كدت أصرخ إعجابا "[3]. فقد كان معجبا بخطابه خاصة عندما يلوح برأسه وكأنه يهدد العدو ويقول: " والله أضربب الاستعمار بالرأس. .. ضربة..."[4] فالاكتفاء بضربة الرأس ترك في فكره شيئ من الاسى حول مستقبل الحركة الوطنية، فقد قال "كان لهذا الحدث البسيط أثر سيئ في فكري حول مستقبل الحركة الوطنية في بلادنا"[5] ولكنه أبرز تشاؤمه عند رؤية الزعيم بعد انتقائه من خطابه و وإذ قال "وقد ازدادت تتشؤما عندما رأيت الزعيم، بعد أن إنتهى خطابه، ينزوي مع الرجل العملاق إلى جانبه على شرق تظل على أخشاب المسرح، وقد غير هيئته فليس نوعا إنيقا من العباءات المسمى (قشابية) وحداء أبيض من نوع (بليغة) وتطريش الطربوش الأحمر، وأشرف في هذه الهيئة يطل على الحاضرين بدلا من أن يجلس بينهم"[6] فلقد أعطى موقفه وتشاؤمه من الموقف الذي نتج من مصالي الحاج الذي اعتلى على الناس كافة وتأنقه وإنغزل عنهم ففي نظر مالك بن نبي فمصالي الحاج أيضا كان يريد أن يجعل لنفسه منصبا غير الذي تزعمه فقد كان يبحث عن السلطة والزعامة والسهر فقط فقد قال

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 246.
[2] المصدر نفسه، ص 248.
[3] المصدر نفسه، ص 249.
[4] المصدر نفسه، ص 249
[5] المصدر نفسه، ص 249.
[6] المصدر نفسه، ص 249.

"الصديق" بأن هذا الحدث ترك في نفسه جرحا يليفا وتمزق أيضا إذ قال:" وربما وقع تلك الليلة في أعماق لا شعوري التمزق الأول بيني وبين الحزب الوطني"[1].

تحدث أيضا عن ترتيباته هو ابن الساعي وذلك بعد أن ألقي محاضرة التي لفتت الأنظار وذلك تحت عنوان " القرآن والسياسة" فقال بان هذا التحضير الكبير نال الكثير من إهتمامهنم لأنفسهم" حتى غذا كلانا وبكل صراحة يشتم في نفسه رائحة الزعامة"[2]. كما كانت أيضا نظرته وحدسه بعد أربعين عاما حول الإدارة الفرنسية فقال" واليوم بعد أربعين سنة لا أشك في أن الإدارة الإستعمارية بشارع ولوكونت، كانت هي الأخرى تشتم هذه الرائحة فينا"[3].

تحدث عن ردة فعل العقي التسني خلال إلقاء حمودة بن الساعي للمحاضرة التي تركت صدى كبير بنادي الترقي إذ أن هذه المحاضرة ارتسمت منعطفا جديدا لحركة الإصلاح فقد بدت ظاهرة جديدة في هذا الجو المتطور إذ قال: " إذ كانت ظاهرة جديدة فيهذا الجو المنظور، تدل على فيه على أن الجيل الجديد من الطلبة الجزائريين بدأ يكتب ويتكلم اللغة العربية"[4]. فقد كان مالك بن نبي (الصديق) سعيدا بمحاضرة صديقه حمودة بن الساعي إلا أن شيئا واحد عكر سروره وهو ردة فعل العقي التبسي كما قلنا، إذ أنه قال في هذا " غير أن صدمة صغيرة عكرت سروري عندما سألت الشيخ العقي فأجابني برأي غريب إنني لا أعتقد أن هذه المحاضرة من تحرير (حمودة بن الساعي) ولا من ثبات فكرة فبعض جملها سبق وتكررت على مسمعي تأتى طالعتها في إحدى المجلات"[5]. فهنا أدلى مالك بن نبي حول تصريحه للظاهرة المرضية التي كانت يتميز بها غالبية المثقفين إذ قال:" لم لم أكن قد عرفت بعد أناه حالة مرضية تعتري غالبية حاملي الثقافة عندنا، فإن كانت ثقافتها تقليدية فمثلهم

(1) مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 249.
(2) المصدر نفسه، ص254 .
(3) المصدر نفسه، ص254.
(4) المصدر نفسه، ص 266.
(5) المصدر نفسه، ص 267.

الأعلى الشرق، وإن كانت عصرية فمثلهم في فرنسا"[1]. ثم قال بأن هذه الظاهرة عامة: "أن كل مجتمع فقد حضارته يفقه بذلك كل أصالة في التفكير أو في السلوك أمام أفكار الآخرين"[2]. فهذا تصريح من حول المثقفين الذين يتركون حضارتهم ويلجؤون إلى حضارات غيرهم وهذا هو السبب في نظر مالك بن نبي في فقدان الأصالة التي يتميز بها، كما تؤثر على السلوك أيضا.

كما أخذت عن الصورة القومية التي ظهرت في الجزائر التي تحسست في المرشحين بقسنطينة من فرحات عباس والدكتور بومالي كما تورط معهم سعدان فقال:" فإن هذه الصورة اتخذت طرقين معارضين طرف معارض للإستعمار وطرق آخر. ..... فقال:" إن هذه الصورة القومية اجتهدت إلى طرفين طريق معرض للاستعمار وطريق آخر العكس، إذ بدأت في تلك الفترة صورة القومية الجزائرية بجناحيها الجناح الطامح إلى البرجوازية في ذات قيادته المتوطئة مع الحركة السيارية الفرنسية والجناح البرجوازي المتواطئ مع الإستعمار"[3].

فوجد مالك بن نبي أن كلتا الطرفين كانتا يتصارعان حول فكرة قيادية أما حمودة بن الساعي فلم يكن يمثل ولم ينتسب إلى طرف منهما إذ قال عنه مالك بن نبي " كان يمثل في نظري الصورة الجزائرية للفكرة الوهابية التي كتب رأي فيها منقد للعالم الإسلامي"[4]. فهذه رؤيته الحكرية الخاصة به والتي تحسست في صورة الجزائر لو أصبحت تحت قيادة حمودة بن الساعي وذلك لا تتسايه إلى الوهانية التي كان يطمح فيها ملك بن نبي لإنقاد العالم الإسلامي.

كما تحدث عن الشيخ الورثلاني الذي عين زعيم جمعية العلماء المسلمين إذ قال فيه " كنت في الحقيقة على الرغم من مولاتي الشيخ الورثلاني رحمه الله أشعر أن تعينه عن جمعية العلماء البارسيين كان انتقاصا من

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 267.

[2] المصدر نفسه، ص 267.

[3] المصدر نفسه، ص 276

[4] المصدر نفسه، ص 277.

موقفنا أمام السلطات الإستعمارية"[1]. أي أنه يصرح ويعطي وجهه نظره حول الشيخ الورثلاني الذي لم يكن كفئ لهذه المكانة، فهو ليس في مكانه المناسب.

ففي هذه المرحلة ذكر أيضا مالك بن نبي تحفظه إزاء كل إتجاهات، كما تحدث عن الحوار الذي قام بينه وبين صاحب جريدة إذ قال له بانه لم ينشرها لأسباب هي:"نعم إنني لم أنشره عن رؤية حتى لا أحطم مستقبل فرحات عباس في الحلة السياسية"[2]. فقد أردك هذا الجواب ومغزاه بعد ثلث قرن إذا أنه صرح يخطئه فقال:" إن ثلث قرن قد مر على ذلك الحين، وقد تفحصت أكثر من مرة ذكريات ذلك العهد، ورأيت النتائج السلبية فهذا التفكير الذي واجهني به ذلك اليوم على عتبة جران هوتيل، وعن حسن نية مدير جريدة الدفاع إنه لم يتصور مسؤوليته في عدم نشر مقالتي إلا في مستوى من ليس له أي خبرة في مجال الصراع الفكري"[3]. فقد رأى أن مقالته لم تصل بعد إلى علم الاستعمار أيضا لم يكن خيرة مثل التي عند العمودي.

كان مالك بن نبي (الصديق) متحفظا تجاه كل الحركات الوطنية وذلك بسبب طابع الخيانة الذي رآه في مختلف القضايا فقال:" الأمر الذي ربما زاذ في تحفظي في تلك الفترة إزاء كل الحركات الوطنية فأصبحت أرى في كل وطنية منحصرة في قضية وطن خيانه لقضية أكبر"[4]. فقد أبدى إيديولوجيته حول الأفكار الموجودة في ذهنه تجاه الحركات الوطنية التي وصفها، بالخيانة فقد أكد أن الخيانة موجودة بين الحركات رغم أن كل حركة تدعى العكس إلا أنها في نفس الوقت في حالة تنافس حول السلطة والزعامة والبروز في أعلى المراتب مما ولد خيانة دون أن يشعر بها.

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 377

[2] المصدر نفسه، ص 366.

[3] المصدر نفسه، ص 366

[4] المصدر نفسه، ص 402.

كما أعطى مالك بن نبي في أيديولوجيته الهادف من خلالها إعطاء السبب الذي أدى به إلى كتابة هذه المذكرات وذلك لتخليص الناس من تصديق الأباطيل والخرافات التي كانت سائدة في ذلك الوقت، فهو يكتبها لكي يعلم الناس عن تاريخهم الصحيح، فقال:" ربما يتعجب هنا أولئك المثقفون الذين أصبحوا لا يدركون لغة الشعب الجزائري المسلم إنى لا أكتب هذه المذكرات من أجلهم ولكن للشعب عندما يستطيع قراءة تاريخية الصحيح أي عندما تنقضي تلك الخرافات التي تعرض أحيانا، فلاما كادبة والتي سيكون مصيرها في صندوق المهملات مع مخلفات العهد الاستعماري"[1].فهذا تصريح مالك بن نبي للمثقفين الذين يشبعون الشعب بالخرافات والأكاذيب التي يكرهها في طبعهم، إذ أنه يرى بأن المثقفين إنتهازيين كاذبين، فهو هنا بصدد تصحيح وتخليص الناس من تصديق الخرافات التي يلقيها هؤلاء لتضليل الشعب.

4. صورة المرأة:

لقد شغل موضوع المرأة في المجتمع العديد من الأدباء إذ قيل بأن المرأة تتمثل إحدى مكونات المجتمع وهذه البيئة، فمن الطبيعي أن نلاحظ بان المرأة لها أهمية كبيرة في المجتمع، إذ نجد أن موضوعها في هذا الميدان الأدبي من اهم المواضيع المطروح فهو قضية قديمة وأيضا جديدة شغلت بال المجتمعات كغيرها من المشاكل الإجتماعية، فإذا نظرنا إلى قضية المرأة فسوف نجد الكثير من وجهات النظر حولها، فهناك من جعل المرأة شريكة للرجل والبعض الآخر رفض وقصر مهامها في الإنجاب والإلتزام في البيت فقط، فمن هذا الطرح والإختلاف في وجهات النظر ذهب الأدباء إلى معالجة كتاباتهم الأدبية والإبداعية، فنجد الدكتور: صالح مقصورة يقول "أما وجوه المرأة في ميدان الأدب فيحتل مساحة كبيرة قصائد الشعر العربي تنوء بوصف النساء ولحات الرسامين تعتمد على هذا الموضوع وكذلك الإشهار والأفلام (...) والمرأة في الرواية تحتل نصيب أوفر وكذلك الشأن في الدراسات

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 288.

الأدبية والإجتماعية" [1].

فمن هنا تعد المرأة في الإصلاح من بين التعاريف الممنوحة لها أنها" رقاقة من زجاج شفافة فترى داخله أن مسحت عينة برفق زادت لمعته فترى شيئا من صورتك وكأنها تخفيها داخلها في خجل، وإن كسرتها يوما يصعب عليك جمع أشلائها، وإن جمعتها لتلصقها ندوبها، وفي كل مرة تمرر يدك على الندب تجرحك"[2].

فهي الكائن المساند للرجل في حياته فهي شريكته في مختلف الظروف والأوقات التي يمر بها. كما يبين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم بأن المرأة أو النساء يجب أن تعامل بالمودة والرحمة والخير.

نجد أن المرأة فقدت مكانتها في المجتمع وإنحطت وذلك بسبب العادات والتقاليد والظروف المحيطة.ونظرا لأهمية موضوع المرأة عند الأدباء وجب علينا أن ندرس صورة المرأة في الروايات او المذكرات، فنجد أن صورة المرأة في هذا النوع من الأجناس الأدبية قد حظي بمكانة رمزية وفنية تزخر بالعديد من الدلالات والصور " لهذا أهتم الشعراء والروائيون في روايتهم وقد عبروا عنها في صور عدة في أعمالهم لأن حركة المرأة ترتبط بحركة المجتمع من جهة ومن جهة أخرى تمثل دلالة ورمزا ثريا موحيا عن الوطن"[3].

فنجد أن هذه الصورة نابغة من تصور الأدبية في مختلف العادات والتقاليد التي تربى عليها، كما هي يعتبر عمل مختلف المشاعر والأحاسيس التي يكنها تجاه المرأة ففي غالبية الأعمال الأدبية نجد أن هذه الصورة قد تشكل في صورة المرأة المقهورة أو المرأة الشريكة أو المرأة الجسد، وهذا ما برز في هذا القول " لطالما كانت صورة المرأة صورة نمطية فهي المرأة المقهورة السلبية المتلقية الخاضعة للهيمنة الذكورية تابعة المتلقية المقموعة، ولم تخرج عن هذه الصورة إلا في الرواية العربية الحديثة، حيث أصبحت شريكة الرجل وامرأة إنسانة تحمل مسؤولية، وهي الأم

[1] صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009، ص 10.

[2] هادي العلوي، فضول عن المرأة، دار الكنوز الأدبية بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 120.

[3] غدير بوشعير، المرأة في أدب توفيق الحكيم، الأهالي للطبع والنشر، دمشق، ط1، 1996، ص 54.

المناضلة وبشكل عام الصورة تنبع من وعي وثقافة الكاتب[1].فقد ابرز لنا مالك بن نبي عدة صور تجسدت في صورة المرأة ندكر من بينها :

أ.صورة المرأة المتضررة

فلقد قدم لنا الأديب مالك بن نبي في مذكراته صورة عن المرأة المتمثلة أولا في "المرأة المتضررة" فهو يعطي لنا ويبين معاناة المراة في ظل الإستعمار بوصفها الضحية والمتضررة الاولي من عدوانية الإستعمار وكذلك الضحية من جرائم القضاء على الشرف التي كانت تسود المنطقة في تلك الحقبة من الزمن فنجد أن الكاتب جسد هذه الصورة في "الحاجة بايا" جدة أم الكاتب "مالك بن نبي" التي كانت مثال للمعاناة والتضرر جراء سوء معاملة الإستعمار الفرنسي وذلك برز في أول هذه المذكرات، إذ اظهر صورة المستعمر وطريقته في الدخول إلى منازل قسنطينة حيث توجد الصبايا، فكان أهل المنطقة يرمون بناتهم لأنقاد شرفهم إذ يقومون بربط النبات بالحبال ورميهن في الهاوية لملاقات مصيرهن الذي يتمثل في النجاة أو الموت من تلك الهاوية فالجدة كانت من بين الضحايا جراء الإستعمار التي رات الموت مرات عدة بسبب الظروف التي جبرت الأهالي بالحفاظ على الشرف وذلك بقوله : "عندما لم يبقى لهم من هم سوى إنقاد شرفهم ولاسيما تلك العائلات التي كانت تكثر فيها الصبايا فقد أخلوا المدينة من ناحية وادي الرمل (...) فيما كان الفرنسيون يدخلون المدينة في كوة م السور"[2]. فالحاجة بايا مثلت قربانا للتضحية من أجل الشرف فقال: " فمعمرتنا الحاجة بايا عاشت هذه المأساة، إذ كان والدها يدفعانها أمامهما عبر أزقة مدينة مذعورة نحو هوية السور، كما قاد إبراهيم قديما ابنه اسماعيل إلى مديح الرب فكان على جدتي إدن أن تقدم قرباتا على مدبح وطن ينهار"[3]. لكن الجدة في الأخير نجت من هذه

---

[1] زياد حيوسي، المراة في الرواية العربية
www.algera.com 19h21, 2015/11/24.

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 15.

[3] المصدر نفسه، ص15.

المأساة و قاومت كما قاول الجيل الذي كانت تتدلى به فقال :" بان الحبل الذي تدلى بها من فوق السور قاوم هذه المرة ولم يلق بحمله فسلمت ولجأت إلى تونس مع عائلتها"[1].

ب.صورة المرأة الساردة:

كما تقمص أيضا صورة المرأة الساردة في شخصية جدته الحاجة زليخة التي كانت تسرد قصة أمها التي عانت هذه الأخيرة من الإضطهاد و،التضرر فيرى مالك بن نبي أنه هذه المرأة لا تعيش إلا على سرد ولا شيء إلا السرد،فقد رسخت في ذاكرتها حالة الإستعمار وما ينتج عنه من إحتقار وإضطهاد وإقتحام البيوت ومعاناة الشعب الجزائري " القسنطيني" من جرائه فقد كانت تحكي عن ماضي امها الأليم وماضي أجدادها في فترة الإستعمار المستبد الذي كان يعيق حياة الشعب، فهي تشكل دائرة وجدانية تحكي عن مآسي أليمة كانت تعيش فيها العائلات الجزائرية إذ قال عنها :" وهنا أضيفت أن هذه المراة كانت بارعة في قص الحكايات"[2].

و قد برزت أيضا هده الصورة في أمة التي كانت تتمتع بميزة القص فقد قال عنها الاديب أنها: "كانت كأمها الحاجة زليخة، تتمتع بميزة القصاص الماهر، تلك الميزة النادرة عند من لا يقرأ ولا يكتب"[3]. فقد كانت ميزة القص لدى الأم نادرة فهي لا تقرأ ولا تكتب لكنها كانت توصل القصة لمتابعيها في بشكل مثير ومميز وله دلالة موحية فقال: " فقد قصت علي قصة حجها بكل ما تحتاجه القصة من تنوير في بعض نواحيها وما تقتضي من تظليم في نواح أخرى كما تتطلب قصة يلتقي فيها عنصرا اللاهوت والناسوت"[4]. فقد كانت تختار النبدة ذات الدلالة الموحية عند سردها للقصة إذ قال عنها بأنها:" كانت تختار في قصتها السيرة ذات الدلالة: أردت أن

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 16.
[2] المصدر نفسه، ص 16.
[3] المصدر نفسه، ص 292.
[4] المصدر نفسه، ص 292.

اشتري أمة لأحررها فأبت على ذلك إلا إذا أخذتها معي إلى الجزائر ففهمت انها تخشى العسر أكثر مما يأبي الرق"[1].فقد كانت أيضا ساردة لملاحظات ذات طابع اجتماعي مختار لقصصها طابع الدلالة.

ج. صورة المرأة الأم:

فقد تجلت صورة الأم التي تظهر في العلاقات الأسرية والتي ترتبط به فمن الطبيعي أن يجعل مساحات عريضة للأم التي تمثل حضنه الأول، فهو هنا يبوح لنا بمشاعره في حياتها وبعد مماتها كما يعبر عن عواطفه تجاهها ومعاناته من معاناتها فقد تجلت هذه الصورة في أمه التي عانت من المرض حتى الوفاة وتألم لتألمها كما أظهر في مذكرات صفته وتعلقة بوالدته وقد عبر عن معاناتها مرضها الخطير الذي بها الى إجراء العمليات الجراحية ومزاولة الطيب فقال: " في أثناء ذلك كانت أمي قد حضرت إلى قسنطينة لإستشارة أحد الأطباء، فقد اضطرها مرض أقضّ مضجع العائلة أن تراجع أحد الإختصاصين"[2]. ثم قوله عند عودته من المدرسة أنه لم يجد أمه في المنزل فقال:" فأمي عند عودتها من قسنطينة نقلت إلى تونس وادخلت مستشفى صديقيًا، وهناك أجريت لها عملية جراحية غير ناجحة عرضت حياتها للخطر"[3].

فهذا الوضع الذي كانت عليه أمه كان في التطور كل مرة فكل سنة عندما يأتي من دراسته يجد حالتها قد ساءت ويتألم لم حصل لها، فقال: "ذهبت إلى تبسة كانت أمي على سرير المرض وحولها تلك المجموعة من المساندة رتبتها شقيقي الصغرى لتحول دون ان تماس بين الجرح الموجود عند اسفل العمود الفقري والفراش"[4].وأيضا تحدث عن التحسن الذي بدأ يظهر على امه بفضل العلاج:" مازالت أمي مريضة لكنها كانت

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 292.

[2] المصدر نفسه، ص 55.

[3] المصدر نفسه، ص 57.

[4] المصدر نفسه، ص 78.

تحقق بعض التحسن بفضل وصفات الدكتور فيكاريلا FigARELLA وبركات الشيخ سلمان وأحيانا كان خالي يعتني بها"[1].

كما أبرز في الفصل الثاني من المذكرات وفاة أمه وصور انشغاله بوالدته واصفا الإحساس الذي انتابه عندما سمع بوفاتها فقال عند عودته من فرنسا إلى تبسة وحد حسس من الناس بانتضاره ثم امسك بيده الشيخ الصديق ومشى به من المحطة إلى المدينة ثم قال في باله لماذا أبوه لم يحضر ليستقبله" فقلت هذه الكلمات بصوت خافت فأحسست بالشيخ الصادق يضغط على يدي فشعرت بانه البلاغ فالتفت إلى الشيخ لا يفهم من وجهه معنى البلاغ فاطرق الرأس وزاد في الضغط على يدي وقال:

إن لله وغن إليه راجعون

فصرخت وقلت

هل والدي؟ دون أن أتم كلمة. ..

لا الوالدة... رحمها الله

فوقعت كأنما نزلت على رأسي صاعقة وكأنها الأرض نزلت تحت أقدامي وفي لمحة بصر تحولت عاطفتي من السعادة القصوى على المصيبة والدهاء"[2]، فهو يجدر في سرده لوفاة أمه عبر عن عمق حسرته لغيابها وهو يقول:" إني لا أخذ اليوم الوالدة في انتظاري كالعادة من اعلى درجنا لا أدري أن هذه المخاطرة السبب في خوفي كأن جبالا حطت علي..."[3]

ولعلنا نرى مدى الحزن العميق الذي حدث لملك بن نبي "الصديق" أثر وفاة أمه لا كان متعلقا بأمه والمرأة التي ناضلت من أجله ومن أجل العائلة وسقطت مريضة حتى ماتت وكان يتألم لما آلت إليه

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 103.

[2] المصدر نفسه، ص 312.

[3] المصدر نفسه، ص 312.

د.صورة المرأة المساندة

تقمصت صورة المساندة في مذكرات ملك بن نبي في الصفحات الأولى وبعض الصفحات من الكتاب فهي امرأة لعائلة جزائرية، هذه العائلة هي عائلة مالك بن نبي التي كان يسودها الفقر بسبب فقدان الأب لعمله فكانت الأم المساندة لزوجها الذي كان عاطل عن العمل والتي وقفت إلى جانبه كزوجة مساندة لزوجها فقال:" ففي العائلة الفقيرة لابد أن لجوع الصغار حتى فقد الأب لعمله غير أن أمي كانت تحول دون ذلك بممارسة الخياطة ومن ثم فهي التي كانت تمسك بكيس النقود"[1]فهي كانت تساعد الأب على مصاريف المنزل وإحتياجاته وذلك بممارستها لمهنة الخياطة، كما كانت مسؤولة عن صرف النقود.

كما كانت إمرأة مضحية من اجل صغارها الذين كانوا يعانون من الفقر والجوع والحرمان فكانت تعمل على تلبية كل ما يحتاجونه في حياتهم حتى أنها كانت تضحي وتوفر سبل الحياة لأولادها فقال:" لا أزال أذكر أنها أضطرت ذات يوم لكي تدفع إلى معالم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص"[2].

كانت أيضا تحسن التدبير في المنزل وكانت تحس بأبنائها حتى أنها عندما أحست أن مهنة الخياطة لم تكن تكفي لسد حاجيات العائلة ما اضطرت إلى العمل الإضافي أيام الراحة أو في الليالي فقال:" كنا نحصل على قوتنا بفضل حسن تدابير أمي وإنكبابها الليالي الطولي على عملها، ولكن أمي في إرادتها الشؤون العائلة كانت تعرف أن ما يحصل عليه أطن لها من غذاء غير كاف فكانت تسد هذا النقص لعمل إضافي أيام الجمع، كان هذا العمل الإضافي يعطينا شقيقي وأنا يوم الجمعة قطعة من الرفيس"[3].فتجسدت المرأة الأم في المذكرات مثال للمساندة وحسن التدبير وحب أولادها والتضحية من اجل العائلة حتى لا يحس بالنقص على الرغم من تعبها.

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 19.

[2] المصدر نفسه، ص 19.

[3] المصدر نفسه، ص 19.

هـ. صورة المراة المثقفة :

كما تجسدت صورة المرأة المثقفة ومدى تأثره بها، فذكر زوجته خديجة التي تزوج بها في فرنسا والتي اسلمت حيث قال: "كان يوم الجمعة من عام 1931 وقد تولى الله الأمر فهداني إلى زوجي وهداه لي، سميت نفسها خديجة" فكانت السبب الذي ساعد مالك بن نبي في التعرف على الوجه الأصيل للحضارة الفرنسية فقيل: أتصور أن الاقدار التي سخرتني وسيلة تعرفت خديجة بواسطتها على الإسلام، قد سخرتها هي لأتعرف بواسطتها على الوجه الأصيل للحضارة الفرنسية"[1].

كما تحدث عن اتقانها وتحفتها في عملها من حيث النظافة والتجميل إذ أنها كانت مميزة في الأناقة والترتيب فقال:" ما تنتهي من الأكل حتى تصبح المائدة وسط الغرفة لتوضع عليها تحفة فيها باقة من الزهور تشتريها زوجي كل مرة حية تذهب إلى السوق[2].فهو يمدحها لذوقها وجماله الذي ساعده في التطور النفسي الذي جعله أشد الناس نفورا لكل ما يبين لدوق الجمال، كما كانت تقوم بمناقشات مع مالك بن نبي فهي إمرأة استطاعت بقوة شخصيتها ومعرفتها الواعية أن تخلق جو من الحوارات مع مالك بن نبي حيث قال " كانت الحياة المنزلية تبتدئ بالنسبة اليّ، عندما أعود مساء من المدرسة، فآخذ إستراحة قصيرة أتناول في أثنائها كأس شاي، وأتجاذب الحديث مع خديجة حول القضية الجزائرية أو حول الدين، وكان يروق لها بعدما أصلي المغرب، أن تسمع لما أتلو من القرآن دون أن تفهم بطبيعة الحال غير أنها تتذوق جرس حلاوة التلاوة نفسها ويحدث أن تطرح بهذا الصدد سؤال المريد المبتدئ أو تبدي رأيها في موازنة الإسلام والمسيحية بطريقة تفيدني أحيانا"[3].

كانت مثال للمرأة الوفية والشاعرة لزوجها فعلى الرغم من أنها أصبحت لا تستمتع بوقتها مع زوجها بسبب عمله إلى ساعات متأخرة من الليل إلا أنها لم تضجر من هذا الوضع في أصرت عليه أن يتسلى مع

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 236

[2] المصدر نفسه، ص 269.

[3] المصدر نفسه، ص 274.

أصحابه لكي يخرج من جو العمل والصمت :"عندما رأت أن خط السير لم يتغير، ولم يترك لها من وقتي إلا القليل، حتى أصبحت تشعر أنها تعيش مع "لويزة" وجدتني مبالغا في صمتي، لأنني كنت أستمر في العمل إلى ساعات الثانية ليلا أحيانا، إذا ما كنت مع مشكلة رياضية في صراع محتدم إلى رجة البكاء (...) حتى ألحت على زوجي، تفاديا لصمتي وعطفا علي أن أخصص مساء السبت للتسلية مع أصدقائي"[1].

قال عنها مالك بن نبي كانت تستمع لما يكتبه وتبدي رأيها فيه فقال عندما كان حرر خطابا مثيرا إلى سعادة سفير اليابان بباريس قام بقراءة عليها أعطت رأيها:"ثم قرأته على خديجة التي استعمته ويدها تمسح رأس هرتها كعادتها عندما تستعذب كلاما قالت عند نهاية قراءتي أجدت!. .. أجدت!. .. إنه مستعطف رقيق مثير إلى النهاية! "[2]

كانت خديجة تمتاز الرسانة والإتزان فعندما كان مالك بن نبي في حالة قهر أو ضجر كانت تواسيه في ظروفه ومحنه فقال:" كانت خديجة في مثل هذا الظرف صوت العقل المتزن"[3]

فزوجة مالك بن نبي كانت محبة لزوجها كما كانت مخلصة ومآزرة تضحي من أجل راحة زوجها ومثقفة فهي مثال على المرأة المخلصة العطوفة والمحبة للمناقشة والحوار مع زوجها والتي كانت لها الدور في تكوين مالك بن نبي الفكري من حيث اكتشافه على الحضارة الغربية كما ساعدته على الوضع النفسي الذي ساعده على البلوغ إلى المبتغى،فهي كانت تناقش مع مالك بن نبي في أمور عدة إذ قال عنها عندما كان يتنافش مع حمودة بن الساعي في أمور وهي: "تتبع ما تقول لتراجعني في بعضه بعد ذهاب صديقي"[4] فهي تحب المناقشة مع زوجها

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 275.
[2] المصدر نفسه، ص 307.
[3] المصدر نفسه، ص 319.
[4] المصدر نفسه، ص 274.

في أمور السياسة كما أنها تتجادب أطراف الحديث مع زوجها حول قضية الجزائر أو حول الدين فقال:" أتجادب أطراف الحديث مع خديجة حول القضية الجزائرية أو حول الدين"[1]

كما أنها من مطالعين الكتب لتتثقف فقال عنها:" أما خذيجة فكانت على مدهبي تطالع كل ما يكتب أو يصدر من المكتبات عن عبد العزيز بن سعود وهكذا قرأت معها كتب الكابتن الإنجليزي (أومستروبج) عن حياة العاهل الراحل (عبد العزيز بن آل سعود)[2]

تجسدت هذه الصورة في مدام "مورناس"التي كانت تتقف نفسها أيضا وذلك بقراءتها للكتب وتقييمها لها وحب المطالعة إذ كانت لديها مكتبة زاخرة بالكتب فهي القراءة للكتب إذ قال عنها مالك بن نبي:" من ناحية أخرى تقرأ " يلزاك" وتضم بحثو جل كتبه في مكتبة صغيرة رتبتها لنفسها في ركن من خزانة"[3]

و.صورة المرأة العاملة:

صورة المرأة مورناس أم خديجة التي كانت من الطبقة المثقفة وأنها أيضا مساهمة في تسيير اقتصادها فقد قيل عنها:" فقد أمي أن تعود مع زوجها إلى ممارسة بعض النشاط القروي التي يتناسب سنها" [4]. فهي من طراز خاص فهي متميزة عن أبناء جيلها تستطيع أن تسير الاقتصاد فهي عاملة بكل معنى الكلمة، فكما كانت ظروف فرنسا في حالة اقتصادية مزرية استطاعت أن تكون لها اقتصاد يقيها من هذه الأزمة وذلك بتخطيط لتربية الدواجن وتوفير كل احتياجاتها الخاصة.فقال عنها أنها لشدة ذهائها في التصرف والحد من الأزمات التي تواجهها في حياتها أنها " لو ولدت رجلا لنجحت في الصفقات التجارية أو تبغت في اسرك"[5].

كما أنها تحب الحياة والنكت وتضحك فهي محبة للحياة، وتتماشى مع حياتها بكل حيثياتها وكل سعادة

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 274

[2] المصدر نفسه، ص 277.

[3] المصدر نفسه، ص 271.

[4] المصدر نفسه، ص 271

[5] المصدر نفسه، ص 271.

فلم تمر دقيقة واكتسيها لمصلحتها سواءا في العمل لكسب القوت وذلك بتربية الدواجن وغيرها من الحيوانات فهي أيضا محبة للطبيعة كما أنها ذات قلب حنون لا يعرف الخبث فهي دائمة السعادة والضحك فقال عنها مالك بن نبي: "في الفترة التي وصلت فيها إلى بيتها – تضحك – وتسلي نفسها وتسلي الآخرين.

كما أنها كانت من أصحاب الاقتصاد فقد كانت تملك أسهم في شركة كروجير التي تعرضت لأزمة اقتصادية والتي أدت إلى إنتحار صاحبها مما مس الأم ورغم هذا فهي لم تترك حب الحياة والسعادة العامرة لها فقال: " قد مس كثير من المتعاقدين الفرنسيين مسا بليغا و"أمي" بوجه خاص، لأنها كانت صاحبه بعض الأسهم في شركة "كروجير" ولكنه لم يمس خفة روحها واستعدادها إلى اغتنام الفرصة المناسبة المسلية"[1].

5. صورة المثقف

يعتبر المثقف صاحب رسالة إنسانية فهو يستعمل مكانته العلمية والمعرفية كما يستعمل رصيده الفكري والثقافي للدفاع عن قيم مجتمعه ومبادئه، فهو أوصى على الأمة باعتباره الرائد في المجتمع من خلال رصيده المعرفي، فهو في هذا يعتمد على تحليل الظواهر الاجتماعية وانتقادها بصورة موضوعية فيحكم أدوار المثقفين الاجتماعية فيكونون في موقع قوة.

فإذا نظرنا إلى مفهوم المثقف فنجد ان الباحثون قد اختلفوا حول وضع مفهوم شامل له وذلك بسبب اختلاطه بغيره من المفاهيم المتداخلة واختلافه أيضا من حيث اللغة إذ أن مفهومه يختلف من لغة إلى أخرى فقد ورد هذا في قول السيد عبد الحليم الزيات " يختلف الباحثون حول تعريف المثقف ولا يكاد بنعقد اتفاق حول هذا المعنى"[2] فيرجع السبب في هذا إلى أن المفهوم يتصف بالغموض، كما تعددت وجهات النظر حول معناه وتقييمه، وذلك ينبغي تعريفه على المستوى الفردي ثم نذهب إلى مناقشة لتشخيصه إجتماعيا.

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 272.

[2] السيد عبد الحليم الزيات، المتفقون المصريون بين حدليات النشأة وإشكالية الفعل مجلة الوحدة، العدد 66، مارس، 1990، ص 147.

فقد عرفه علماء الاجتماع في إشارة "ابن خلدون" إلى مكان أهل الفكر ترتبط أساسا بدرجة الإزدهار في المجتمع، حيث قال في هذا الصدد " العلم أن السيف والقلم كلاهما أنه لصاحب الدولة يستعين بها على أمره إلا أن الحاجة في أول الدولة إلى السيف مادام أهله في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم، لأن القلم في تلك الحال خادم فقط، ومنفد للحكم السلطاني، واما في وسط الدولة فيتغنى صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهد امراه ولم يبق همه إلا في تحصيل تمرات الملك والعلم هو المعين له في ذلك"[1].

فالمثقف هو الشخص الذي تتوفر فيه الآليات التي وضحت من خلال تعاريف "الثقافة" وفي ظل هذا أيضا نجد أن هذا المفهوم في دوائر معارف العلوم يتخذ إحتمالا آخر بانهم، " أولئك المنتجون في ميدان العلم أو التدريس أو الفلسفة او الأدب، والفن والأخلاق"[2]. فهذا التعريف نجده قد ربط المثقف بمهمة الثقافة، اضف إلى ذلك التعريف الذي جاء به المفكر "عبد الله العروبي" حيث عرف المثقف قائلا:" تطلق الكلمة عامة على المفكر أو المتأدب أو الباحث الجامعي، وفي بعض الأحيان على المتعلم البسيط"[3].

كما نجد المفكر "حامد ربيع" يقول بان : المثقف يمكن تحديده من خلال واحدة من منطلقات ثلاث المهنمة أولا ثم الثقافة ثانيا، والوظيفة ثالثا" فقد شرح هذه المنطلقات الثلاثة فيما يلي منطلق المهمة قد عرفها أنها "كل من ينتمي إلى تلك الخلايا الإجتماعية، حيث أعضاؤه يكرسون جهودهم حول العمل الفكري"[4] فالنسبة له المهمة هي العنصر الأول ام في تعريف المثقف ومحل ذهن الإنسان.

أما الشرح الثاني فقد ربطه بالثقافة حيث عرفه على أنه "كل ما يسهم في خلق أو نشر عالم الرموز التي تشمل الفن والعلم والدين"[5] أما ثالثا فستنتج أن الفكر على المنطق الحاسم وهو المهنة في النطاق الذي يرتبط

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الفصل 35 في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول المكتبية العصرية، بيروت، د ط، 2002، ص 236.

[2] العروبي عبد الله، ثقافتنا في ضوء التاريخ، دار التنوير بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1983، ص 172.

[3] المرجع نفسه، ص 172.

[4] عبد الفتاح العلمي، واقع ومستقبل المثقف العربي في ظل التحديات التي تعيشها البلاد العربية، تحديات المجتمع العربي، ص 159.

[5] المنجد في اللغة العربية المعاصرة، توزيع المكتبية الشرقية، بيروت، ط1، 2000، ص 165.

بتلك المهنة وتعريفها.

ويحيل مفهوم المثقف إلى جدل كبير أدى إلى غموض في هذا المفهوم وتباينه في أطره العامة، فهذا المفهوم عرف العديد من التعريفات الأخرى، فيرى الباحث إدوارد سعيد ان المثقف: له قديم يقتصر على كل ما هو خاص بالدهن، أو بالعقل أو بالفكر المنطقي، واستعمالها اسما للدلالة على صاحب الفكر أو المفكر استعمالا حديثا"[1] فالمثقف إذن هو الذي يمارس نشاطا نظريا أو فكريا أو علميا وأن النشاط الفكري هو العمود الفقري في تحديد مفهوم المثقف، أما في البلاد العربية، فقد استخدام المثقف للدلالة على دوره وهو حديث العهد فيعرفه محمد عابد الجابري على أنه: ناقد اجتماعي إنه الشخص الذي همه الوحيد أن يحدد ويجلل ويعمل من خلال ذلك على المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل نظام أكثر إنسانية وأكثر عقلانية"[2] وان الناقد همه الوحيد توليد الثقافة وتحديدها أو الحافظ عليها.

كما نجد أيضا عبد السلام الشادلي يعرفه على انه " إنسان علم ومعرفة وموقف حضاري عامة تجاه عصره ومجتمعه"[3] على الرغم من أنه هناك من يرفض أن تطلق صفة المثقف على من حصل على قدر التعليم، بل يشترط أن يكون المثقف منتجا للثقافة وحسب حتى تطلق عليه صفة المثقف.

وانطلاقا من هذه التعريفات يمكن القول أن التعريف الذي يعتبر المثقف بأنه المتعلم الحاصل على الشهادة الجامعية هو تعريف سطحي، لأنه يعني أن كل متعلم مثقف غير أن للمثقف وظائف أخرى تميزه عن بقية المتعلمي لقد تضمن الكتاب " مذكرات شاهد للقرن" نخبتين مثقفتين مشيعين بالثقافة وها نخبة مثقفة مشبعة بالروح الفرنسية والحضارة الفرنسية وهي نخبة داعية إلى الإنذماج مع المجتمع الفرنسي كما تتخللها روح السلطة والظهور ونخبة معربة جاءت من بلاد المتشرف المتشبعة بالروح الوصية.

---

[1] جان بول سارتر: دفاع عن المثقفين، ترجمة جورج طرابشي، مقررات دار الأدب، بيروت،ط1، 1973، ص 13/13.

[2] محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، كانون الثاني، يناير، 2000، ص 15.

[3] عبد السلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية المعاصرة، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1985، ص 26.

فهذه النخب لها تأثير مختلف ومطالب جديدة على عكس النخب التقليدية التي كانت تمثل في الزوايا القادرية والرحمانية والدرقاوية وغيرها والزوايا المرابطة التقليدية التي كانت تشيع أبناؤها بالتعليم العربي الإسلامي بعيد عن المعاهد العربية الإسلامية والمدارس الفرنسية كما كانت تعتمد على تنظيم التورات الشعبية ضد الإستعمار أما النخب الجديدة الداعية للإصلاح فنجدها تريد أن تبرز الهوية الوطنية التي أراد المستعمر طمسها من خلال بعض القرارات والزعماء الذين يرون في أنفسهم الإصلاح.

أ. صورة المثقف الفرنكفوني

فنجد النخبة المثقفة الأولى التي كانت لها مطالب في تحسين أوضاع المجتمع الجزائري وتحقق المساواة مع الفرنسيين وحرية المعتقد. ..إلخ وعليه كانت هذه النخبة ذات طابع وطني لها بعد سياسي لكنه فيما يعي وثقافي، وأهم ما ميز هذه النخبة أنها جاءت بأفكار جديدة لكن تأثيرها على المجتمع لم يكن يتسنى لها لأن غالبية هذه النخبة تحسين بالحشية الفرنسية دارسين اللغة الفرنسية "قرنكفونيين" حاملين للثقافة العربية داعين للإنذماج ونذكر من بين هؤلاء الذين كان هدفهم هو الإندماج في المجتمع الفرنسي وداعين له كما نجد أيضا الفرنكفونيين" الذين تشبعوا بالروح الإسلامية على الرغم من تعلمهم.

ففرحات عباس هو من الفرنكفونيين الذين كانوا يدعون إلى الإندماج إذ قيل عنه صرح باندماجه في جريدة فقد كتب مقال معنون بـ " أنا فرنسا" وأريت إسم صاحبه فرحات عباس"[1] فهو كان من المدافعين عن نظام الإحتلال بوصفه السبيل الوحيد للنهوض والتطور، وهذا ما أدى إلى تهديد هوية المواطن.

فهو لم يكن يتكلم لغة آبائه وأجداده إذ أنه كان متشبع بالفرنسية ويرى فيها التطور اللغوي الإزدواجي فقيل أنه لم يتكلم بلغة آبائه إلا عند الإنتخابات فقد تجسد هذا في قول مالك بن نبي في كتابه:" فلم يتكلم

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 360.

فرحات عباس إلى الشعب الجزائري بلغة آبائه إلا يوم دقت الساعة المراجعة الإنتخابية والمرايدة الديماغوجية بعد الحرب العالمية الثانية"[1]

فقد برزت صورته في الإزدواجية اللغوية وتنكر لغته الأم حتى اضطر به الأمر إلى مخاطبة شعبه الجزائري بلغته الأم لقضاء مصالحة.

كما نجده أيضا من المترشحين القومين الذين كانوا يدعون إلى الكفاح عن البرجوازية فقد قيل عنه أنه: "تمثل صورته في تأسيس وحدة المترشحين بقسنطينة مع فرحات عباس والدكتور بومالي ومن لف نفهم"[2] فهذا بالنسبة غلى الصورة القومية الجزائرية التي كان يمثلها أيضا مع جماعة من مذهب الإدماجي كما نجد هذه الصورة التي تمثلها تجيد إلى البرجوازية قيل:" هذه الصورة القومية الجزائرية بجناحيها،الجناح الكادح الطامح إلى البرجوازية في ذات قيادية المتواطئة مع الحركة اليسارية الفرنسية والجناح البرجوازي المتواطئ مع الإستعمار"[3]

فالصورة كانت بارزة في الكفاح عن الطبقة الجديدة البرجوازية وأيضا كما قلنا هو من الموالين إلى الإدماج في الجزائر.

تجسدت أيضا في المذكرات صورة مصالي الحاج الذي كان يزعم جمعية نجم شمال إفريقيا كان يديره في باريس بعد الأمير خالد، حيث قيل " لقد بدأ نجم مصالي الحاج في الظهور وفكرة الزعيم بعت منظمة " نجم شمال إفريقيا الذي أقبل من باريس منذ ذهاب الأمير خالد رحمه الله إلى الشرق"[4].

كما يتثمل في اتخاذ القرارات وكانت السلطة بين يديه إذ قيل أنه:" برهن مصالي الحاج أنه يجيد هذا العرف القومية وصارت فعلا بين يديه جمعية نجم شمال إفريقيا آله تصغي لغرضها الجماهير من عمالنا الذين

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 266.

[2] المصدر نفسه، ص 276.

[3] المصدر نفسه، ص 276.

[4] المصدر نفسه، ص 245

يعملون بين باريس"[1]. فهو من المثقفين الذين كانوا يتمتعون بالسلطة على العمال الذين ينتمون إلى حزبه كما هو يتمتع بالصوت من طرف الشعب.

كما تحدث الكاتب عن ابن الساعي الذي كان ينتمي إلى المدرسة الفرذلوفية وأنه من الطلبة الموحدين، كان على إتجاه لشؤون العالم الإسلامي.

كما كان من الطرف المثالي،كما كان من المتحفظين تجاه كل نشاط سياسي وإذ قيل عنه أنه: لم يحضر إلى هذا الإجتماع بسبب تحفظه إزاء كل نشاط سياسي منظم"[2].

فقد ألقي محاضرات عدة من بينها محاصرة قال عنها الكاتب تركته مدى كبير إذ قال: " ألقي محاضراته بعنوان القرآن والسياسة بجهة الصلبة الوحد ويبين يستعد لإعادة إلقائها في نادي الترقي"[3].

فعلى الرغم من أنه تتشبع بالروح الفرنسية واللغة الفرنسية إلا أنه كان من الذين يتمتعون لخطى الإسلام فكان أيضا مصالح للعلم الإسلامي حتى قال عنه مالك بن نبي " كان يمثل في نظري الصورة الجزائرية للفكرة الوهاية والتي كنت أرى فيها منفذ للعالم الإسلامي"[4].

ب. صورة المثقف المعرب (العربي)

أما بالنسبة إلى النخبة الثانية وهي المعرفة التي كانت لها تأثير كبير داخل المجتمع الجزائري والذي يعرف بالحركة الإصلاحية أو ما يعرف بجمعية العلماء المسلمين لنخبة جديدة وعصرية أيضا اتخذت بزمام الأمور كان ظهورها للدفاع عن المواطن الجزائري بسبب الظروف القهرية التي تعشها والتي كانت جد صعبة وخاصة مع تصاعد النزعة الإندماجية وانتشار الخرافات والدجل من جراء السياسة العلمية الفرنسية فمن بين الظروف المساعدة التي

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 276.
[2] المصدر نفسه، ص 245.
[3] المصدر نفسه، ص 254.
[4] المصدر نفسه، ص 277.

دفعه فئة مثقفة يأخذ على عاتقها مهمة حماية المجتمع الجزائري من محاولة طمس الهوية وتحديد كيانه فالتيار الإسلامي أخذ مجراه في صنع التاريخ الإصلاحي للجزائر والذي تمثل في طلبة العلم العائدين من بلاد المشرف فنجد من بينهم:

عبد الحميد ابن باديس:

الذي كان دو شخصية عظيمة بدوره في النهوض بالشعب الجزائري ومحاولته للإصلاح فقد كان أول رائد للإصلاح في الجزائر والذي كان الأول من انتبهوا إلى أهمية المرابطين على ثقافة الشعب.

فقد تخلى عن عائلته وقطع صلته بها بسبب الإصلاح والتغيير فقال عنه "قطع صلته بعائلته ولا سيما والده وهو تاجر كبير وشقيقه المحامي وزوجته البرجوازية المشرفة"[1]. فقد كان أيضا محسن إلى الناس في تعامله معهم كما كان لديه روح عربية فهو كان من الذين يلبسون اللباس العربي الأصيل فقد قال عنه مالك بن نبي بأنه لا يبدي إهتمامه إلى الذين يتشبعون بالفونكوفونية" الذين يقلدون الفرنسية في اللسان فقال عنه أنه عندما ذهب إليه يناقش معه خطبة أفلو لم بدعه إلى الجلوس بسبب هندامه فقيل في هذا:" خيما مر ابن باديس في طريقه إلى مكتبة تبعثه، كان معه أشخاص، ولربما كان يرى أول مرة هذا الفتى دا النظارتين والسروال والحزامين عند ساقيه والرأس الحامر لذا لم يدعي للجلوس"[2].

فقد كانت لديه وجهة نظر حول هذه الفئة التي يتمثل فيها مالك بن نبي "الصديق" كما كان أيضا من التائرين على الإستعمار الفرنسي فقد كان يدافع عن الإسلام والمسلمين إذ قيل عنه أنه عندما تعرض أينا الجزائر إلى الأعتداء على مساجدهم وقيل أن يتقبلوا بالمسالمة وتصدقه الأوضاع وقال أحد المشايخ على سبيل التذكير بالحكمة الشعبية:" أخواني أيكم تعلمون أن رؤوس الأيتام معرضة للضربات القاضية"[3].وذلك لتهدئه الوضع

[1] المصدر السابق، ص 130.

[2] المصدر نفسه، ص 184.

[3] المصدر نفسه، ص 317

والوصول إلى المساهمة فقال: نشأ تأثره الشيخ بن باديس:من يقول إننا أيتام لسنا أيتاما في أرض أجدادنا!!"[1].

فهذه وردة الفعل كان لها تأثيرا إذ أنه لم يقبل بهذه التسمية على شعبه الذي يعيش على أرضه.

كما ظهرت أيضا صورة إنزعاجه عن فرحات عباس الداعي للاندماج مع المستمر خاصة عندما تسبب في المقال: " أنا فرنسا"[2] إذ قيل أنه رد عليه في مجلة الشهاب بسبب هذا المقال كما تحدث عن العربي الشيء الذي كان من المؤيدين للإصلاح إذ قيل أن من الإصلاحيين الذين عادوا من القاهرة والذين جاؤوا بهذا التقليد المسمى بالحركة الإصلاحية الذي يتمتع بالثقافة الإسلامية والذي أضيف إلى علماء تبسة الذين يتفاخرون بدراستهم الأزهرية عالما آخر، فنجد هذا تجسد في قول الكاتبة:" عاد الشيخ العربي التبسي من القاهرة ليضيف إلى علماء تبسة الذين يتفاخرون بدراستهم الأزهرية عالما آخر"[3]

والذي أخذت تصارع بينه وبين الشيخ سليمان الذي كان من أصحاب الدين في تبسة والذي تخلف عنه ظهور فريقين في تسبة فريق يتبع الشيخ سليمان وفريق العربي التبسي.

فالعربي التبسي فد جاء بالتجديد والذي سماه بالإصلاح حيث قيل أن العائلات المتشكلة إلى فريقين " العائلات التي تجري احتفالات زواجها ومواكبة دفن الموتى وفق الطريقة القديمة تبدوا صوابا أو خطأ وكان من الأنصار الشيخ سليمان، أما العائلات التي تتبع العادات الجديدة في تلك المناسبات فهذه تعد من مؤيدي الشيخ العربي"[4]

وكما أنه من الذين طوروا الحركة الإصلاح حتى إجتاحت مختلف أقطاب الوطن حتى وصلت إلى وهران إذ قيل أن بلدة في وهران بنيت مدرسة ودعت إليها الشيخ العربي التبسي فنجد هذا قول الكاتب " حواره

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 318

[2] المصدر نفسه، ص 360.

[3] المصدر نفسه، ص 124.

[4] المصدر نفسه، ص 126.

الإصلاح بذات تحتاج وهران فالناس في بلدة سان دوني دوسيج أبنوا مدرسة دعوا من أجل إدارتها الشيخ العربي التبسي"[1].

فقد ضمن أيضا موجته الإصلاحية الكثير من المتأثيرات إنه إذ قيل "كانت عودة االشيخ العربي التبسي من مدينة سبق منتظرة ليوم التدشين القريب، انظم تحت لواء الإصلاح حتى عرايدة تشبه ومدمنوها العالقون على الخمر"[2]. فهذه الفئة من الشعب التبسي إنضمت مع العربي التبسي تحت لواء الإصلاح الذي جاء به.

فمن بين المهام التي كانت يتولاها والتي كانت تحت إشرافه كل التدابير والتقارير التي تهم الناس فنجد هذا في قول الكاتب "كانت تتخذ تحت إشرافه كل التدابير والتقارير التي تهم الناس، ليلة رمضان وليلة الإفطار خاصة عندما يسمى الشيخ متعلقا بالعادات إلى ساعات متأخرة"[3].

فقد كان مولعا بالروح الوطنية كما يشرف على مختلف إحتياجات الناس وإهتمامهم.

كان شخصية ثابتة بعد ابن باديس في الحركة الإصلاحية كما تعرض إلى نقد شديد من طرف الإدارات بسبب خيانة بعض الأطراف وتأديبهم لمصالي الحاج فقيل في هذا" أن باهي بطبيعة الحال في صدر هذه الهجرة التي تركت الشيخ العربي التبسي يشعر أكثر بقلة الأتباع دون أن تترك السلطات وقائدها عليه"[4]. وهذه الهجرة التي إجتاحت مجلس العربي التبسي أدت شعوره بوحدته في الحركة الإصلاحية مما أدى أيضا إلى المراقبة من طرف الهيئة المشرفة على المدرسة الإسلامية وتعقبها بالنقد الشديد القاسي.

كما نجد أيضا: الطيب العقبي الذي كان من المؤيدين للإصلاح إذ نجد من المتشبعين باللغة العربية في مكة فقال عنه: "لقد عاد الشيخ الطيب العقبي، من الشرف حيث كان يدير في مكة صحيفة أم القرى"[5]

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 189.

[2] المصدر نفسه، ص 262.

[3] المصدر نفسه، ص 346.

[4] المصدر نفسه، ص 419

[5] المصدر نفسه، ص 105.

فهو من أطلق على مطبع صدى الصحراء عبارة أصبحت شعارا للإصلاح فنجد هذا في قول الكاتب أن " مطبعة صدى الصحراء التي أطلق فيها الشيخ العقبي عبارة أصبحت شعارا للإصلاح آية قرآنية تتصل بمهمة النبي: " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله [هود: 87/11]"[1].ولحسن سيرته في الإصلاح توافد الناس عليه بسبب تشبعه بالعلم الذي جاء به من مكة فقيل: "كان جديد في جهة الإصلاح فالشيخ العقبي إستدعته بعض العائلات الميسورة في الجزائر فقد أرادت من دون شك أن تمنح من بينها عالما كما كان لقسنطينة عالمها"[2].

كما كان يجمع لتضمن إلى الإصلاح ويلقي درسه عليهم وهذا ما عرضه إلى الإنتباه من طرف الإدارة الفرنسية " كان يجمع الذين انضموا إلى لواء الإصلاح ويلقي درسه عليهم حتى أنه عرض نفسه سخط الإدارة الإستعمارية"[3]. وهذا ما أدى بها إلى اعتقاله بريعة القتل فقال مالك بن نبي في هذا " كانت الحكومة الإستعمارية قد ألقت الفيض من ينبوع على الشيخ العقبي بتهمة الإسهام في إغتيال مفتي الجزائر"[4].

وهذا ما نتج عنه الكساد في نادي الترقي الذي كان يلقي بمحاضره التثقيفية والإصلاحية فيه.

---

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 130.

[2] المصدر نفسه، ص 189.

[3] المصدر نفسه، ص 257.

[4] المصدر نفسه، ص.374

المبحث الثاني: تمثلات الهوية الثقافية من خلال مدكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي:

يعد مفهوم الثقافة من بين المفاهيم المعقدة، التي حظيت باهتمامات المتخصصين في العلوم المختلفة، ومنها الإجتماعية والتاريخية والفنية وغيرها، ويعود السبب في ذلك لتعدد مكوناتها من جهة، وكثرة محاولات تحديدها من جهة أخرى.إن الثقافة بمعناها الأشمل هي:" صناعة الحياة، والأشتغال على الطبيعة وشكل من أشكال التواصل والتبادل"[1] فهي تلعب دورا هاما في حياة الفرد وتمثل عنصرا بارزا للتواصل والتحاور بين الأجيال وفي سبيل الرقي والتطور.

فالثقافة هي:" كل ما فيه استشارة للذهن وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو المجتمع، تشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق وجميع القدرات التي يتهم بها الفرد في مجتمعه، ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية،ولكل جيل ثقافته استمدها من الماضي، وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر، وهي عنوان المجتمعات البشرية"[2] أي أن إمتلاك الفرد للثقافة تجعله يرتقي إلى فهم واكتشاف أبعادها النفسية والإجتماعية الخاصة به، وبالمجتمع عامة.

فالثقافة هي مفهوم محوري يتضمن الأفكار والتصورات الموروثة والعادات والقيم والمواقف السائدة في مجتمع معين، والإتجاهات العامة، المقبولة والمتوقفة التي يتعلمها الفرد من خلال اتصاله بالواقع الإجتماعي والملاحظ أن هذه التعاريف تبرز أهمية العقيدة ودور الدين في صنع الثقافة وتوجيه سلوك الإنسان، وأيضا تدخل اللغة للتواصل بين الأفراد وإبراز مختلف عادات المجتمع.

---

[1] علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2004، ص 38.

[2] حسين عيد، المثقف العربي المغرب، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999، ص 8.

1. ثقافة المجتمع

تختلف ثقافة المجتمعات من أمة إلى أخرى، فلا يمكن أن نجد مجتمعا له ثقافة مثالية سائدة، ففي هذا المعنى لا توجد قيم صحيحة بشكلها العام فإذا تساوت الثقافات أصبحت صحيحة، فنجد انها :" لا توجد قيم صحيحة بشكل عام أو عالمي، وأن كل الثقافات بالتساوي صحيحة،هذا التأكيد يشده على الإختلاف الثقافي الذي يؤدي إلى فهم الآخر بوصفه خطر على الأنا"[1]. فالشخصيات الثقافية تتصف بالتمايز من شخصية إلى أخرى، كما أنها أيضا تتماثل مع تقاليد الأنا التي لا تقبل أية تغيير فيها.

فالثقافة الإجتماعية تتميز بالعمق من الناحية الجوهرية للذات فهي تعبر عن النشاط الإجتماعي للإنسان، وهي العامل الأساسي في التطور والتقدم الإجتماعي، فنجد أيضا أن كل فئة اجتماعية تسعى جاهدة إلى التقدم لنفسها أولا، ثم تقدم لمجتمعها أفضل الخدمات التي تسيرها أما المجتمع:" مستوى تطور الثقافة لمضمون القيم الروحية فقط، بل بطابع العلاقات التي تتشكل خلال عملية إنتاجها وبطريقة توزيع لهذه القيم واستهلاكها وبموقف الكادحين من القيم الروحية"[2].فثقافة المجتمع تعتمد على طابع العلاقات والقيم المعنية لكي تكون إمكانيته الإستهلاك لها متقبلة أو مقبولة من طرف الأفراد والسير وفق خطاها.

كما تعمل القيم على:" تشكيل إتجاهات الإختيار عند الأفراد وهي التي توجه الفعل الإجتماعي نحو الأهداف الخاصة أو العامة فالقيم في الحقيقة هي العوامل أو القوى الحقيقية في حياتنا الإجتماعية، والقيم هي التي تشكل المعايير التي بدورها تحكم على الفعل بالصواب أو الخطأ فالقيم تعمل كمبررات أو ترشيد للسلوك أكثر من هذا فإن القيم هي ما ينبغي أن يكون أو واجب أو المثال لأي تراث أو ثقافة"[3] فالهوية الثقافية هي التي توجه الفرد إلى إختيار القيم التي يريد أن يتبناها كما تسمح باختيار مبادئه من مجتمعه الذي ينتمي إليه.

---

(1) جورج لارين، أيديولوجيا والهوية الثقافية (الحداثة وحضور العالم الثالث)، تر فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي،القاهرة، ط 2002،1م، ص 29.

(2) غور بونوف، في الثاقفة (مساهمة بنين في تطوير النظرية الماكسية في الثقافة)، تر: يوسف حلاق، دار الفرابي، بيروت، ط1، 1982، ص 158.

(3) محمد أحمد بيومي، القيم وموجهات السلوك الإجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 2003م، ص 185، 186.

فثقافة المجتمع تحتوي على مجموعة من التقاليد والمعارف المتنوعة وهي عبارة عن ممارسات يومية يقوم بها الفرد تمثل إنتمائه لمجتمع معين كما يبرز مختلف سلوكاته التي تتجلى أيضا في الطبيعة الوجودية للمجتمع، فقيل في هذا الشأن ان" الثقافة المجتمعية تحتوي على مجموعة التقاليد والتجارب والممارسات والمعارف المتنوعة التي أختبرها الشعب في هذا البلد أو ذلك عبر مراحل عدة من التاريخ فضلا عما يعبر عن هذه من التجارب والممارسات والمعارف"[1] فالثقافة الإجتماعية تعد صورة المجتمع في عقول أفراده:" فهي تعد صورة للمجتمع في عقول أفراده،وهيالإيطار المرجعي الذي يوصل الفعل الإجتماعي لغاياته، وأهدافه وراء كل الثبات والتغيير الذي حصل فيه"[2] فأهمية القيم الإجتماعية تبرز في النهوض بمجتمع عريق.

كما يمكن أن تعد العادات والتقاليد والقيم من الصفات المادية للوعي الإجتماعي الذي يزيد قوة إنتماء الفرد للمجتمع الذي يعيش فيه فقيل في هذا:" التقاليد العادات والقيم صفات الموضوعات والظواهر المادية للوعي الإجتماعي التي تميز أهميتها للمجتمع ولطبقة ما ولإنسان ما، ويخلق المجتمع نسقا من المفاهيم الأخلاقية —المثل العليا– التي توجه سلوك الإنسان"[3]

وأيضا المعتقدات الشعبية التي يؤمن بها الأفراد و تتعلق بمختلف الطرق التي يتبعها الفرد في حياته:" المعتقدات الشعبية هي تلك الأفكار التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي، وما وراء الطبيعة، وهذه المعتقدات قد تكون في الأصل نابعة من نفوس أبناء الشعب ذاته عن طريق الكشف والإلهام"[4] فعلى سبيل المثال نجد هذه المتعقدات تتجسد في طريقة اللباس وطريقة الأكل وأيضا طرائق الإحتفالات ومختلف المناسبات وأيضا الحكايات الشعبية والخرافات التي يقوم بها أهل المنطقة.

---

[1] حسين محمود، الصفة الأخرى (دراسات في الثقافة والأدب والنقد)، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص 18.

[2] محمد أحمد بيومي، القيم وموجهات السلوك الإجتماعي، ص 186.

[3] برهان غليون وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر ودار الفكر المعاصر، دمشق وبيروت، ط1، 1420هـ / 1999م، ص 234.

[4] أحمد بن نعمان، هدي هذه الثقافة،دار الأمة، الجزائر، د ط، 1996، ص 82.

فالعادات والتقاليد تشكل الوجه الخفي للتجربة الإنسانية، وهي بذلك ترسم الملامح الأساسية لضمير المجتمع ووحداته وتكمن وظيفتها في تشكيل ضمائر أفراد المجتمع وتطريق سلوكهم، وهي في هذا السياق تهدف إلى تنظيم السلوك والحفاظ على وحدة الهوية الاجتماعية وتماسكها"[1] فالعادات والتقاليد تجسيد فعلي عن الثقافة الاجتماعية سواءا على الوجه المرغوب أو المكروه المرفوض في المجتمع الواحد فالقيم والأخلاق الطيبة والمعارف تكون في التقاليد الإيجابية، أما السلبية فتجسيد في الهيمنة على الثقافة الإجتماعية المتمثلة في السيطرة على بعض من القيم والعادات والمعارف للآخر.

ينتقل بنا الأديب في سرده للحياة الاجتماعية إلى نمط جديد من التقاليد المتمثل في العادات والتقاليد، وهو الإحتفال وبعض المراسم وأيضا العادات والموارثه من خلال الولائم التي توضح في تلك المناسبة وكيف يتعامل الأفراد في المجتمع الواحد فيقول:" مالك بن نبي" بان الحياة الاجتماعية في تلك الحقبة من الزمن وسادها جو من التغيير في العادات والتقاليد في مدينة قسنطينة إذ يقول: " أن نظمها التقليدية وعاداتها قد بدأ يعتريها التغيير:الإحتفالات والزواج ومراسم الدفن والأعياد وإجتماعات الرقية وطرد الجن وحلقات الذكر عند الحنصالة والرحمانية والتيجانية وخاصة العيسوية كل ذلك كانت تقيمه عائلات المدينة في آبهة وروعة كما كان يجري في الماضي"[2].

إذ أنه في هذا التصريح الذي يدل على أن العادات والتقاليد قد سادها جو من التغيير بسبب الإستعمار الذي احتك بالحياة وبعادات وتقاليد المنطقة فهو يتحدث عن مدينة قسنطينة ويوجد كثيرا من مثلها في الجزائر فالعادات والتقاليد بدأت تتجلي وتغيير إذ قال بأنهم:" احتفوا بالمظهر فيما هم فقد والجوهر إلا أن المظاهر بدورها

[1] سليم جيهان وآخرون، الثقافة العربية (أسئلة التطور والمستقبل)، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد 29، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ديسمبر، 2003م، ص 25.

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 17.

لم تسلم في النهاية من التغيير ،فهذه العادات الأخلاقية والإجتماعية قد اعتراها التحول"[1].

فهذه التحولات التي كانت تتم تدريجيا في محيط مدينة قسنطينة التي ما تزال تحافظ على المظهر في الإطار الإستعماري قد اعتراها بعض التغيير الذي مس كل من العادات والتقاليد حتى أصبح بدوره يعتري هذه المظاهر التي كانوا محتفظين بها.

كما انتشرت مختلف العادات السيئة في البلاد والمخالفة لتقاليد المجتمع التي تطمس الهويتة الإنتمائية من خلال سوء إستغلال عاداته وتقاليده وإدخال بعض من العادات السلبية السيئة التي كانت تغير في طبع الإنسان كما كانت مظهر من مظاهر الثقافة السائدة في منطقة قسنطينة في تلك الفترة من الزمن، قيل في هذا:" لقد شاع الخبر وشاريوه، وبدأت بوادر استغلال الثقة ومخالفة تقاليد البلاد العريقة في ظهور حينما إنكفأت تتوارى شيئا فشيئا تلك التقاليد"[2]. فالعادات والتقاليد التي كانت سائدة في وقت المستعمر أي في تلك الفترة قد اعتراها جو من التعيير والانحراف الذي طمس ثقافة المجتمع الجيدة مخلفا وراءه ثقافة سلبية للمجتمع التي يخفي وراءها العادات الحسنة التي كانت تتميز بها منطقة قسنطينة وبفعل الإختلاط والتقليد للغرب اختفت هويتهم الثقافية وهذا ما أدى أيضا إلى تدهور الإطار التقليدي الذي كان واضحا بشكل كبير إذ أن هذا المجتمع على غرار العادات والتقاليد التي تغيرت شيئا فشيئا مست أيضا الإطار التقليدي فاختفت كل النقابات التي كانت تصنع لتحل ملحها السلع المصنوعة والمستوردة وذلك بسبب توافذ المواطن القسنطيني إلى لباس هذه السلع والتخلي على اللباس الأصيل الذي يتميز به كل أجداه فقيل في هذا "أما على الصعيد الإجتماعي فقد كان تدهور الإطار التقليدي أبلغ في الوضوح فبعض النقابات المهنية كنقابة النساجين كانت قد اختفت منذ بعيد، فيما ظلت أخرى تقاوم قبل أن يدركها الأفول لقد ولت واحدة تلو الأخرى لتخلي مكانها لما ستورد من السلع المصنوعة"[3].

---

[1] مالك بن نبي . مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 17.

[2] المصدر نفسه، ص 17.

[3] المصدر نفسه، ص 17.

وأيضا "في شوارع قسنطينة بدأت تختفي العمامة والبرانيس والملابس المصنوعة من الأقمشة المطرزة والمخازن التي كانت تصنع فيها تلك السلع لمخازن الصادرين(. ..) وأخذت تظهر أكثر فأكثر في شوارع البضاعة الأوروبية وأحيانا الأتواب المستعملة المستوردة من مرسيليا"[1]. فهذه التغيرات والتقليد للغرب من حيث اللباس أدى إلى طمس الهوية الثقافية للمجتمع وتعبعيته للمستعمر من حيث العادات التقليدية والمظاهر.

كما تغيرت علاوة على هذا كله المدن أيضا وذلك بسبب وفود اليهود إلى المنطقة ليخلقوا كل ما يحتاجون إليه خاصة بهم مثل المقاهي والمتاجر فقيل في هذا:" مظهر المدن إذن تغير من هذه الناحية، تم من ناحية أخرى فإن تجمع الاوربيين الذي بدأ يتكاتر شيئا فشيئا، وأبناء الجالية اليهودية الذين أصبحوا فرنسيين دفعة واحدة، قد أذى ذلك كله إلى أن تكون لهؤلاء مقاهيمهم ومتاجرهم ومطاعمهم ومصارفهم وكهربائهم ومخازنهم ذات الوجهات الجميلة. هذا كله أخد يضفي على المدينة طابعا جديدا فحياة السكان الأصليين أخذت تتقلص لتنعزل في الشوارع الضيقة وزقاق سي راشد"[2] فهذه التغيرات التي طرأت على المدينة القسنطينية بالذات أدت إلى تغيير في المجتمع الذي ساده اليهود والذين قلصوا في عيش السكان من حيث الإنعزال في الشوارع الضيقة لترك المجال إلى المطاعم والمتجار وغيرها من إحتياجات الجالية مما أدى إلى خلق طابع مغاير عن الطابع الذي كانت تمتز به المدينة فيما قبل

وهذا التغير الذي طرأ على المدن الجزائرية عامة ومدينة قسنطينة خاصة التي ترك الأثر الأخلاقي والأثر الإجتماعي، فقد أدى إلى التأثير النفساني للسكان الذين كانوا يتأزمون لهذا الوضع الذي لم يكن يعجبهم فقيل في هذا بأن: لهذه التغيرات علاوة على أثرها الأخلاقي والإجتماعي تأثير نفساني مضن على أولئك المسنين".[3]

---

[1] مالك بن نبي . مذكرات شاهد للقرن، المصدر نفسه، ص 18.

[2] المصدر نفسه، ص 18.

[3] المصدر نفسه، ص18

فكل هذه التغيرات والتقليدات التي كانت متواجدة في الجزائر وتتكاثرها شيئا فشيئا ادي ال ترك بعض الناس الجرزائر إذ قيل أن كل ما يجري حوله كان يدفعه لترك الجزائر.[1]

كما نجده يتحدث عن الإحتفالات من زواج وختان في مدينة تبسة التي كانت مغيارة بعض الشيء عن الإحتفالات في قسنطينة إذ قال " أن الزاوية القادرية تواكب العريس ليلة زفافه والطفل يوم ختانه وذلك بالعرف وراءه"[2]. فهذه العادات التي تجسدت في تلك المرحلة بين أهالي مدينة تبسة وهذا هو مفهوم الثقافة المجتمعية في تبسة من حيث الإحتفالات بالزواج والختان.

فمن العادات أيضا أيام الأعياد تقوم العائلات الجزائرية أنها تقوم بعمل الحلويات واللباس الجديد بالنسبة للأطفال الصغار والحنة وغيرها من العادات والتقاليد والمتوارية في كل سنة إذ قال بذلك أيضا أن رجال الدين ينظمون مواكبة إحتفالية بالمناسبة إذ يقول: " فحينما كان هؤلاء الشيخ شبابا كانوا في أيام العيد الصغير والكبير ينظمون مواكب (...) فيعزف على الناي ألحان تتفق والمناسبة (...) " فذلك هو مفهوم التسلسل في رجال الدين صبيحة يوم العيد، وسط جو عائق برائحة الكعك والمكرو، العائد من الفرن، القماش الجديد للأطفال والحنة في أيدي الفتيات"[3].

فهذه المناسبات التي يتميز بها الشعب أو المواطن الجزائري خاصة التبسي في تلك الفترة دالة على ثقافة المجتمع الدي يبرز هويته المتوارثة من جيل إلى أخر حتى يومنا هذا.

كما تجسدت أيضا بعض التقاليد القديمة الموارثة فالتعبير عن حسن الضيافة فيوضع الطعام "الكسكسي" الدال على جود وكرم وحسن الضيافة للمضيف إذ قال:" الشيء الوحيد الذي بدا لي مستغربا من العشية الأولى

[1] مالك بن نبي . مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص18

[2] المصدر نفسه،ص23.

[3] المصدر نفسه، ص61.

في أفلو هو الكسكسي الذي قدم إلينا عند القاضي الذي كنت ضيفه"[1].قال ان هذه المنطقة التي لا تزال تحافظ على تقاليدها المتمثلة في حسن الضيافة وتقديم كل ما لذ وطاب من طعام والتكبير به هو من علامات ثقافة المجتمع الهويائية التي يتمتع بها هذا المجتمع في هذه المنطقة "أفلو"

أما في منطقة من مناطق الجزائر التي تسمى "شاتودان" فقد اختلفت عن غيرها إذ تعبر على قيم وعادات مغايرة ، وذلك بسبب تمركز المستعمر فيها فكان كل شيء خاضع لسلطة الإستعمار إذ أن هذه المنطقة تبعث منها حياة إجتماعية سيئة إذ قال فيها مالك بن نبي:" لقد كانت الحياة الثقافية في شادان "chateaudin" تتلخص في تجشؤات اليانسون وخلف لاعبي الورق وحكايات الأشباح"[2] فالإستعمار في هذه المنطقة تجلى في إلغاء هوية الآخر الجزائري منطقة شاداتون وطمس تقاليد وبعث تقاليد جديدة تخدم قوانينها وتشريع الأشياء السيئة وإحتكاكه بالمجتمع الجزائري الذي خلف مجتمع منحرف.فثقافة المجتمع في هذه المنطقة في هذه المنطقة طامسة للهوية من خلال تغيير كل ما هو متوارث من الأجداد و كل ما هو مخالف لعقيدتنا الإجتماعية.

كما نجد أيضا ثقافة ومعتقد بحكم العادات التي يتبعها بعض الشيوخ في المجتمع وهي صنع التمائم لإعتقادهم أنها سوف تجلب الحظ للفتيات الغير متزوجات، إذ يقول: "أما الشيخ الصادق بن خليل، فلا يزال يصنع الحروز والتعويذات للفتيات الأوروبيات الباحثات الراغبات في الزواج"[3] وهي عبارة عن حروز وتمائم تعلقها الفتيات الغير متزوجات والراغبات في الزواج بنية جلب الحظ للزواج، فهذه التقاليد كانت سائدة أيضا في المجتمع بصدق عن واقع ثقافة المجتمع والتصديق بها.

---

[1] مالك بن نبي . مذكرات شاهد للقرن، المصر السابق، ص 171.

[2] المصدر نفسه، ص 292.

[3] المصدر نفسه، ص 295.

2. ثقافة اللغة:

ترتبط اللغة مع الثقافة من حيث أنها "وعاء الثقافة لأنها تشتمل على تاريخ الأمة وعلى آدبها من نثر وشعر، وعلى تراثها الفكري من علوم وعارف، هذا فهي العنصر الأهم في العناصر البنائية لثقافة الأمة، وهي التي تهب الفرد إنتمائه الحقيقي التي مجتمعة القومي وهي التي تجعل بكل مجتمع كتابة الثقافي والحضاري الذي يميزه عن سائر القوميات"[1] فعنصر اللغة يعتبر من أهم المحددات فهو الكاشف المباشر عن هوية الفرد فبمجرد أن يتحدث الإنسان في الحقيقة تظهر ملامح هويتها. وتتجلى جمع الخلفيات الخاصة بها.

فتعد اللغة وسيلة من وسائل التواصل بين الناس في المجتمع الواحد بل وأصبحت طريقة لمعرفة الآخر من خلال التجاوز معه لمعرفة ثقافة وحضارته، فنجد أن تطور " الثقافة ونموها لا تتم بدون لغة التي يمكن الإنسان من تحقيق التعاون والاتصال مع غيره والعمل على تأصيل خبرات وحفظها وتواصل هذه الخبرة واستمرارها من جيل لآخر"[2]

فهي تحافظ أيضا على التواصل وتحافظ على ثقافة وهوية المجتمع من خلال وصفها مظهر أساسا من مظاهر السلوك الثقافي والإجتماعي، فلعشرة الإرتباط بين اللغة والثقافة اعتبرها العلماء على أنها مفتاح يساهم في التعرف على أسلوب الحياة لدى المجتمعات، فنجد لكل فرد مجموعة سلوكية سواء مادية أم معنوية تصل إلى عمله

من خلال اللغة التي تعد الوعاء للثقافة.فمن هنا تعتبر اللغة " هي الوجه الآخر الخاص بأمة من الأمم المميز لخصوصيتها والمحدد لهويتها"[3]

---

[1] محمد عبد الرؤوف عطية، التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1،2009ص 46.

[2] كريم زكي حسام الدين، اللغة والثقافة (دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقة القرابة في الثقافة العربية)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،مصر، ط2، 1421هـ /2010م، ص 58.

[3] المصطفى الشادلي، ظاهرة الإغتراب في النقد العربي، ص 125، نقلا عن ابن خلدون، المقدمة تح: أبو عبد الله السعيد المشدوه،مجلد 2، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، ص 249.

فاللغة قابلة للتغيير والزوال وذلك حسب مدى الإستعمال لها في المجتمع فهي "القانون الأول الذي بغرض نفسه على كل فرد إذ تقوده إلى الإنتقال من الطبيعة إلى الثقافة"[1] فالفرد يحصل على الإندماج داخل المجتمع بفضل اللغة، كما تعد لزاما أن أساس الوجود الإنساني يحتاج إلى لغة يعبر بها ويثبت إنتماءه لهوية وثقافة لمجتمع معين ينتمي إليه.

فنجد اللغة في الأعمال السردية التي قام بإظهارها مالك بن نبي قد كان جليا من حيث ثقافة الأنا وثقافة الآخر من منظوره الذي استعرضه لنا بالإستقامة إلى اللغة الخاصة به، وذلك للتعبير عن واقعه الذي سعى إلى إيصاله إلى الآخر الذي يتجسد في القارئ بكل جزئياته وتفاصيله في منتهى الدقة والوضوح، فهو في هذا العمل الأولى يمثل ذاته كما يمثل أمة في مواجهة الآخر المتمثل في العدو المستعمر الذي يبرز كل أنواع الإيذاءوالإحتقار للشعب الجزائري الممثل.

لقد تجلت ثقافة اللغة في المذكرات من خلال إظهار الإختلاف الذي كان قائما ومتجسدا في ثقافة النطق للغة من قبل المحدثين فقد قال:" كان الحديث في مقهى بن يمينة بالعربية والفرنسية، أما في مكتب الشيخ فمن الطبيعي أن يكون الحديث بعربية فصيحة أما في المدينة فلم تكن اللغة عربية ولا فرنسية، إنما لغة محلية، وحده الحال كانت من الجزائر جميعها ولا سيما في العاصمة إذ أضاف القوم هنا إلى عاميتهم لهجة غير مستحبه"[2]. فهنا ثم الجمع بين عدة ثقافات لغوية وهي العربية والعامية والفرنسية، فقد وظف هنا هوية ثقافة المواطن الجزائري"الانا" وهي اللغة العربية التي تتمثل في اللغة الأم للوطن مع شيء من العامية وهي التي يتواصل بها الأفراد داخل المجتمع الواحد كما وظف أيضا لغة المستعِمر الآخر والتي تتمثل في اللغة الفرنسية التي كان يتكلم بها المستعِمر الأجنبي ومع الإحتكاك والتعلم في المدارس الفرنسية صارت لدى الأنا أيضا مفردات إكتسابها وصار يوظفها في أحاديثه.

---

[1] ينظر جلبير غرانغيوم، اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، تر: محمد أسليم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2011م، ص 87.

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 92.

كما تحدث عن المدينة التي تظهر ثقافة الأنا في لغتها وهي جانب متمثل في الهوية الثقافية للمدينة فقال:" ان تبسة هي المدينة الوحيدة التي يتكلم أهلها لغة عربية، ربما ليست أدبية. إنما هي بكل حال على درجة من الصفاء والأصالة في مفرداتها وطريقة نطقها"[1].فهو في هذا الجانب يبرز الهوية الثقافية المتمثلة في درجة من الصفاء وطريقة النطق معبرا فيها الإنتماء الثقافي.

كما تحدث عن لهجة الناس الذي لاحظ إهتماما بالغا وتعددا في اللهجات حسب تغير المنطقة فنجد إختلاف في اللهجة من منطقة إلى أخرى فقد جسد اللغة اليومية للأهالي حيث قال بأنه عندما وصل إلى أفلو لاحظ هذا الإختلاف: " إذ بدأت لهجة الناس تتغير"[2].حيث قال أن :" الناس الذين استقلوا معي مركبة الدرجة الثالثة المتقشفة يقولون "واه" إذ أرادوا أن يقولوا: نعم وفي قسنطينة نقول "هيه" أو "نعم" حسب درجة الثقافة، فهذه ال "واه" بدت لي غريبة كأن فيها شيئا من اللغة "البربرية"، وغرابتها تشبه غرابة من يقول في فرنسا القرن العاشر (oe) لرحيل يقول (oll) [3] فقد بدت هذه الثقافات في اللهجات ألفاظ عادية بالنسبة لمنطقة مستوحاة من طبيعة البيئة التي يعيدون فيها وهنا يبرز الأديب جانبا من الهوية الثقافية المتمثل في لغة المنطقة البسيطة معبرا عن أناه وإنتماءاته الهوياتية.

كما نلاحظ أيضا بساطة اللغة المعبرة عن الذات في القول " فشعرت بذلك الكلمات الأولى بيني وبين الحمال الذي تكلف بحقائبنا منذ نزولنا من الباخرة، لم يكن الجمال يتكلم لغة عربية يراعي فيها قواعد الإعراب، ولكنها سليمة من حيث المفردات واللهجة كلغتنا الدارجة في نواحي تبسة"[4] فالملاحظ هنا ان ثقافة اللغة جاءت ملامسة للأنا من حيث البساطة وقد برزت هذه الثقافة في الكلمات الأولى بين الأديب مالك بن نبي "الصديق"

---

[1] مالك بن نبي . مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 92.

[2] المصدر نفسه، ص 171.

[3] المصدر نفسه،ص171.

[4] المصدر نفسه، ص266.

والحمال الذي تكلف بالحقائب فهذا يدل على هوية الثقافة اللغوية البسيطة التي تعبر عن اللهجة العامية "الدارجة".

كما وظفت بعض الكلمات التي تدل اختلاف اللهجات بالنسبة للغة العربية فنجد الكلمة التي أشار إليها أحد الشبان في بادية احد المناطق إذ قال: "هل الزعيم " جطاية" من ذهب"[1] فهذه الكلمة ليست لديها قاموس عربي وإنما هي تابعة لثقافات المنطقة والإختلاف في بعض الألفاظ من منطقة إلى أخرى فهذه الكلمة تدل على الخصلة من الشعر وتدل في الجملة على "الجطاية من ذهب" فهذه الكلمة دالة على المداولات الشعبية والتردد في مصطلحها من قصة إلى قصة حتى أصبحت هذه الكلمة لهجة من لهجات البادية لبعض المناطق فهي دالة على الهوية الثقافة الذاتية للأفراد في البوادي والمناطق الأخرى التي تتلفظ بهذه المصطلحات.

كما نجد أيضا ثقافة اللغة قد تتجسد وتتباين من لغة إلى لغة أخرى فلغة المستعِمر بالنسبة للمستعَمر فهذه اللغة من نوع خاص فيها نجد لغة الإحتقار والتمييز لا تسمع ولكن ترى بالعين فنجد مالك بن نبي قد جسد هذا المصطلح في نظرتة إلى المستعمر عندما قال بأنه يتكلم لغة واحدة وهي لغة الإستعمار حيث قال في هذا بعد أن تعرض إلى التهميش والإحتقار من طرف مسؤولين فرنسيين هما مدير معهد الدراسات الشرقية ومدير شؤون الطرقات إذ قال عنهما :" إنما يتكلمان لغة واحدة لغة الإستعمار"[2] فهذه العبارة الدالة على ثقافة الآخر اللغوية من حيث المعاملة لا يستعملها ولا يحس بها ولا يراها إلا من وجهة نظر الانا،فالهوية الثقافية اللغوية اكتشفها الكاتب عبر ملاحظاته دون الكلام.

فالملاحظ في هذه المذكرات ان مالك بن نبي قد أخذ منحنى واحد وهو ثقافة اللغة المستوحات من البيئة سواءا العربية الجزائرية أم الأجنبية.

---

[1] مالك بن نبي . مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 391.

[2] المصدر نفسه، ص 217.

3. ثقافة الدين

تعد الديانة من أهم وأبرز المرتكزات التي تتميز بها الهوية الثقافية التي تشكل معنى الأنا الجمعي لأي أمه، والتي نعني بها الإيمان بالأفكار والمعتقدات التي تتصل بالله والملائكة والكتب والرسل والقضاء والقدر وأيضا تتعلق بمختلف التشريعات الدينية ويعد الدين " من اهم العناصر التي تشكل ثقافة المجتمعات، وتوجد قيم ومفاهيم الأفراد فيها وانماط تفكيرهم وعاداتهم وتقاليدهم وآرائهم بخصوص الطبيعة والإنسان والعلاقة بينهما..."[1]، فالدين له أهمية في مخاطبه عقول الناس ومخاطبة قلوبهم أيضا، فالطابع الديني يمكن أن يكون العنصر الأساسي في تكوين الشعور بالذات والقومية، كما يثير في النفس الكثير من العواطف والنزاعات الخاصة التي تؤثر فيه،فنجد على هذا الأساس "مفهوم نحن يعني في الفكر المعاصر حميمية الإنتماء الحضاري وربما الروحي أيضا إلى دين من الأديان أو إلى جيل من الناس... او إلى طائفة من الطوائف وما أكثرها في زمننا هذا"[2]

فعلى سبيل المثال الإسلام ديانة الأمة الإسلامية الذي يتجسد في الهوية والأصالة لتلك الأمة، إذ نجده يصوغ نظرته للكون، وطبع ثقافته على العقيدة الدينية التي تمس كل من الأنا والآخر.

وقد ورد هذا في دائرة المعارف الإسلامية على أنه " الإسم الذي يطلقه المسلمون في كل قطر على عقيدتهم، ومعنى هذه الكلمة الخضوع والإستسلام لله"[3] فالدين جاء لهداية الأمة جمعاء وقام بتصحيح العقيدة الدينية وذلك بجمع الرسالات السماوية السابقة وإبراز دورها في الأمة الإنسانية، حيث نجد ذلك في أنها:" جعلت هذا الإيمان بالرسل لما بقيت ورسالاتهم شرطا من شروط الإيمان"[4]

---

[1] محمد عبد الرؤوف عطية، التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مرجع سابق، ص 44.

[2] عبد المالك مرتاض، الإسلام والقضايا المعاصرة، دار هومة للنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، د ط، 2009.ص83

[3] موسى معريش، جدل الديني والسياسي في اليهودية والإسلام بين المقدس والمدنس، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2010م، ص 36.

[4] عبد الغني عبود، العقيدة الإسلامية والإيديولوجية المعاصرة سلسلة الإسلام وتحديات العصر، الكتاب الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1980، ص 285.

والدعوة إلى الحرية في إختيار المعتقد والتساوي بين الناس لتحقيق التعايش السلمي بين الأفراد، سواء المسلمين أو غير المسلمين فكانت " من مميزاتها أيضا أنها إتسمت بالوسطية فلم تكن أميل إلى المادية كما كانت اليهودية، ولا أميل إلى الروحانية كما كانت المسيحية، وإنما كانت مادية روحية معا، وبذلك كانت مليئة لكل الحاجات قادرة على الإستجابة لكل المتغيرات"[1] فمن هنا يتضح لنا أن الإسلام دين الحق، صالح لكل زمان ومكان كما أنه إيجابي في حياة الفرد، إذ أنه ينطلق من الإصلاح والتغيير الإيجابي الذي يترك في الفرد السمة والطبع الصحيح والمحترم قصد التعايش السلمي.

لقد تجسدت الهوية الثقافية الدينية في هذه المذكرات في مجالات عدة تمثلها الشخصيات التي تكتسب معنى الإنتساب إلى ديانة معينة سواءا دينية إسلامية أم مغايرة فقد وردت بدلالات عديدة فنجد أن الأدبي قد بدأ مذكراته بسرد عودته إلى قسنطينة وذهابه إلى المسجد الذي قال عنه بأنه كان مسلوب ثم استرجع قبل سنة من عودته فقال: "كان ذلك في مجد قسنطينة المسترجع بعدما ظل طوال قرن كاتدارئية المدنية"[2].

فهذه الكلمات حول المسجد دلالة على أن هذا المكان للصلاة أي صلاة المسلمين فقال : يبرز لنا حالة المسجد وما هي أهم الأشياء الموجودة داخل المساجد التي تحتاج إليها الإمام والمصلين لبدأ الصلاة فقال: " عندما خلعت حدائي متأهبا لدخول المسجد ألقيت نظرة فاحصة إلى داخله (. ..) وأخترت ركنا في داخله بجانب المنبر القرعُ (...) وكانت إسمه الأصيل تتسرب من خلال الزجاج بين أعمدة المسجد"[3].

فهو بين لنا هذا المكان الذي سوف يصلي فيه صلاة العصر، فالصلاة دالة على الهوية الدينية الإسلامية حيث قال:" وقفت في زاويتين أشرع في الصلاة، وكنت في الركعة الثانية من صلاة العصر"[4].

---

[1] عبد الغني عبود، العقيدة الإسلامية والإيديولوجية المعاصرة، المرجع السابق، ص 95

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص13

[3] المصدر نفسه، ص13

[4] المصدر نفسه، ص 13

فالصلاة هي ركن من أركان الإسلام وقد وضح لنا كيف كانت صلاته فهي صلاة خاصة بالمسلمين حين يقول بأنه كان في الركعات فالمسلمين، فالصلاة هي عماد الدين الإسلامي الحنيف ويستحسن أن تكون في وقتها.

كما نجده يضرب لنا مثلا عن الإحسان الذي يكون من صفات الخلق الإسلامي الذي جسد في قوله:" فمنها عرفت أن الإحسان في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي"[1] الإحسان هو جزء من العمل الصالح الذي يريد الشخص من خلاله التواب وهي سمة يمتاز بها الخلق الإسلامي أي الثقافة الدينية متجسدة في كل ما هو صالح حتى يحدث التواب من الله والعمل السوء قد يؤدي بالشخص إلى العقاب،فالإسلام هو الذي أبرز لنا هذه المراتب التي نستفيد منها في الحياة اليومية كما نستقبل بها وجه الله عزوجل.

كما تحدث أيضا عن الإحسان الذي تجسد في الصدقة على الفقير إذ قال " في ظهيرة يوم الجمعة أخذت نصيبي من الرفيس واخذت أقضمه بنهم ولذة، وفأجاة سمعت بباب الدار سائلا ينادي" أعطوني من مال الله" ولم أكن عنها أكملت من فطيرتي أكثر من نصفها ومع ذلك بادرت بإعطائها له عندما تذكرت واحد من حكايات جدتي عن الإحسان وثوابه"[2]. فالصدقة من صفات الإحسان ومحوره العمل الصالح الذي يأخذ بفضله الشخص ثواب من الله.كما تتحلى أيضا الثقافة الدينية في إبراز الدين الإسلامي من خلال ما أنزل على سيدنا محمد من آيات قرآنية ليتبين للناس ما هو الإسلام ولهداية الناس أيضا فالقرآن الكريم الذي نزل على سيدنا محمد جاء معمما على كل شيء في الحياة كما أنزل عبارة عن آيات قرآنية فنجد هذا ذكر في هذه المذكرات من خلال إبراز آية من آيات الله عزوجل وهي سورة " سبح"[3]. إذ قال الأديب:" فحتى ذلك الوقت لم أكن قد تجاوزت في قراءتي للقرآن سورة "سيح" أي هذه السورة دالة على الإسلام وغير فالإسلام هو الذي ذكرت فيه هذه السورة القرآنية كما تحدث أيضا عن المدرسة القرآنية وهي مكان يذهب إليه الناس لقراءة وتعلم القرآن الكريم إذ قيل "

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 19.

[2] المصدر نفسه، ص 19

[3] المصدر نفسه، ص 24.

مدرسة القرآن القديمة وسجادة الخلفاء"[1]. كما تحدث عن كلمة الله المقدسة في هذه المذكرات وهذا دليل على الإسلام فالإسلام يكمن في الإيمان بالله وحده لا شريك له على عكس الديانات الأخرى فكل دنيانه ومعتقدها من حيث الإيمان إذ قال: " فما أردناه هو أن نشرب كلمة الله المقدسة بالذات"[2]. فهذا يوفي بقداسة الله بالنسبة للمسلم ومدى تعلقه بدينه الحنيف الذي يقدس كلمة ووجود الله سبحانه وتعالي.

كما نجده يتحدث عن الأعياد الدينية التي لا يؤمن بها إلا المسلمين الدين يؤمنون بالله وبما جاء في كتابه فالعيد هنا يتجسد قال:" فحينما كان هؤلاء الشيوخ شباب كانوا في أيام العيد الصغير والعيد الكبير ينظمون موكب بوعربيط "[3].فالعيد الصغير هنا هو اليوم الأول من شوال الذي يصادف يوم الأفطار للمسلمين من شهر الصيام فنهاية شهر رمضان يكون بداية شهر شوال الذي يحتفل به المسلمين كما نجد العيد الكبير الذي يتميز به المسلم والذي يسمى بعيد الأضحى الذي ذكر في القرآن عندما قدم النبي ابراهيم قربانا لربه المتمثل في ابنه اسماعيل والذي أعطى له من ربه بدل دبح ابنه اسماعيل أهدى له خروف فأصبح المسلمين يحتفلون بهذا اليوم الديني كل سنة لإيمانهم بما ذكر عليهم في الكتاب المنزل في "القرآن".

كما ذكر الآية الكريمة الدالة على الديانة الإسلامية، " إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَ دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهاَ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهاَ أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ [النمل: 34/27] "[4].فهذه الآية التي ذكرت في المذكرات وهي دالة على الإسلام فهي موجودة في كتب الله المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم للناس كافة، فالكاتب هنا متشبع بالثقافة الدينية وحافظ لكتاب الله حيث نجده استحضر الآية دونما صعوبة عندما واجهة ذلك الموقف ولا غرابة فالجزائر عرفت بزواياها ومدارسها القرآنية التي كانت تحرص على تلقين القرآن الكريم للأفراد دون إستثناء فمالك بن نبي لم يخرج عن هذه الدائرة.وهو يستشهد بهذه الآية لإبراز الوجه السلبي للإستعمار الذي يأتي على الأخضر واليابس.

---

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 24.

[2] المصدر نفسه، ص 24.

[3] المصدر نفسه، ص61.

[4] المصدر نفسه، ص 174.

كما نجد في هذه المذكرات إشارات الى ما يسمى بالتعايش الديني نجده بعيدا عن الصراع والتناحر وكل طرف وتعريفه لدينه فقال في هذا :" وقد أصبحت هكذا عصر مسلما في الوحدة المسيحية وما كان الأمر كهذا أن يكون عاديا في سجلات المنطقة"[1] فهذه تعد سابقة في مجتمعه الرافض لمثل هذه الملكيات ينظر لاغياره المسيحين بعين الريبة والإحقار، وهذه دعوة إلى إحترام الديانات الأخرى ومعايشتها على عكس الديانات الأخرى وعلى الطرف الآخر نجد في الكتاب شارات أخرى دالة على إحتقار المسلم وتهميشه وإقصاءه من طرف المعادي للدين الإسلامي الحف

كما نلاحظ إختلاط الثقافات الدينية بالنسبة للأنا والآخر في المذكرات إذ يتنامي أحدهما بالأخر. فقد تم استبدال الهوية الدينية كشخصية حنوز مثلا الذي كان جزائري الأصل وإعتنق المسيحية وذلك بسبب التنصير الذي كان متواجد في تلك الفترة الإستعمارية فقيل في هذا أن حنوز: كان شابا جزائريا من عرف بربري، اعتنق المسيحية وهو طفل يرقع مع أقرانه في جبال القبائل"[2]. فبعد أن كان من أصول إسلامية جزائرية تحولت إلى مسيحية وهو في مرحلة الطفول لم تتأت له بعد إمكانيات الإختيار او الإستقرار على ديانة دون غيرها.

وقد تملكته مشاعر النفور من الديانة المسيحية التي يم يقتنع بها ويريد العودة إلى دين أجداده المسلمين الدين ينتمون إلى ثقافة الهوية الدينية.

كما تجسدت في المذكرات الثقافية الدينية أيضا في حضور كلمة الله التي تردد في المذكرات من خلال الحمد لله أي ان الإنسان المسلم إذا الذي يعتنق بدينه العميق يحمد ربه على ما أعطاه فنجد في القول: "فحمدت الله على وجود صديقي بين ظهرانينا" [3]. أي أن الإسلام الصحيح الحنيف يعد فيه صاحبه الراحة عند ذكر اسم الله وشكره عند حدوث أي شيء إيجابي يشعره بالراحة فيحمده.

---

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 210.

[2] المصدر نفسه، ص 212.

[3] المصدر نفسه، ص 234.

كما نجد أيضا "لا حولة ولا قوة إلا بالله "[1]. دالة أيضا على الثقافة الهوياتية الدينية فالمسلم هو الذي يعطي القوة إلى الله وحده دون غيره وأنه هو القادر على كل شيء ولا شريكه في أي شيء من نبي العباد.

كما ذكر لنا الحج وهو ركن من الإسلام أي أن الحج جاء في القرآن الكريم أيضا ولا يحج إلى بيت الله إلا المسلمين دون غير فلا يحق لغير المسلم أن يحج إليه دون إسلامه إذ قيل:" في إنتظار اليوم السعيد الذي أراهما فيه بعد عودتهما من الحج"[2]. فالحج إلى بيت الله المقدس دالة عل الثقافة الدينية الإسلامية التي يذهب الحجاج إلى بيت الله الحرام وعمل مناسك كما ينبغي والتضرع إلى الله والدعاء له فهذه من سمات المسلم الذي لعلق مصيره في بيته المقدس واعيا في إعطاءه طهارة ونزع الذنوب راجيا الله المغفرة وتحقيق طلبه في حسن الطهارة وحسن خاتمة المسومة من الذنوب.

كما وجدت في المذكرات أيضا مظهر من مظاهر الدين الإسلامي والتي تتمثل في الترحم على الميت مثل قول الأديب " ليزحف على الساحل الليماني بينما أخوه سعود رحمة الله يتوجه إلى الناحية الجبلية" وأيضا قوله: الوالدة. .. رحمها الله. .."[3]. فمن مظاهر الحياة الإسلامية الترحم على الميت إذ تجوز عليه الرحمة كما تجور على الحي أيضا في دننا، وهي بمعنى الدعاء له بالمغفرة عند الله وهذا يبرر جانبا من معتقدات الثقافية الدينية الهويانية السائدة في مجتمعنا.

4.ثقافة الملكية:

تعد الملكية من أهم عناصر الهوية الثقافية لأية أمة فهي تمثل الحيز الجغرافي وحدود الدولة التي تميز وجودها المادي، فاحتفاظ الذات المالكة عن ملكيتها تحفظ مقومات وعناصر وجودها، وتفقدها يستحب وجه تلك الذات وتختفي حضارتها، فنجد أن:" فالرقعة الجغرافية تعد جزء لا يتجزأ من مقومات الشخصية الوطنية،

---

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 259

[2] المصدر نفسه، ص 282.

[4] المصدر نفسه، ص 312.

وعنصرا من عناصرها الأساسية المكونة لهما وأحد رموز سيادتها، فلا يمكن أن تصور أمة خارج الرقعة جغرافية معينة"[1]. فمحدد الدولة المنزلة لا يقل أهمية عن بقية المحددات.

وبفعل امتلاك السكان الأصليين لهذه الحدود الجغرافية تتوافق رؤاهم واعتقاداتهم فهم يحملون التراث المشترك والمصير الموحد فضلا عن انتسابهم لنفس الثقافة والهوية وذلك:" فإن الهواء الضروري للوجد لا يمكنه أن يشكل عنصر التاريخ أو وعاؤه إذ يستقر أو يستريح على الأرض"[2].

ومن هنا نجد انتقال الملكية من الجزائريين إلى الإستعمار الفرنسي كان بسببه قانون اتخذه المستعمر وهو مصادرة الأراضي من المواطنين يدريعة عدم استغلالها والذي تحول إلى غايات سلبية استعمارية تمثلت في إحتلال الأرض إذ قيل في هذا: "وفقدان ملكية ما أي الإنفصال عن ملكية الشيء المادي فالرجل لا يمتلك شيئا لا يساوي لأنه من خلع عن الوجود بشكل عام، ولا يزال بعيدا عن الواقع الإنساني، لأن حالة عدم تملك شيء، هو حالة انفصال الإنسان عن موضوعيته انفصالا تاما"[3].

فمن هنا نجد أن المواطن الجزائري الذي سلب أراضيه بالغضب لا وجود له واللاوجود يعني اللاهوية والضياع وهذه الحالة بسبب المستعمر الذي يفرض قوانين قاسية على المواطن وسيلة حربية الثقافية التي كان ينسب إليها يملكه فنجد في المذكرات.

فتظهر ثقافة الملكية بصورة بسيطة وواضحة تمثلت في الإجراءات التي فرضت عليهم ترك ملكيتهم وحقوقهم في البلاد من طرف الآخر الأجنبي الذي كان يعرض ويبين لهم طريقة متمثلة في توقيع السندات على بياض إذ قال: " في تلك الحوانيت تصفية ما تبقى من ثروات لدى عائلات قسنطينة العريقة في بورجوازيتها، وفي

---

(1) قتان جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة الجزائر، 1994، ص 288.

(2) حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية، دراسة نقدية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص 159.

(3) مصطفى الشادلي، ظاهر الإغتراب في النقد العربي، ص 31.

تلك الحوانيت أيضا كان الفلاحون يتحلون على آخر قطعة من أراضيهم في مقاطعة سطيف أو قالمة، أو عنابة والطريقة كانت واحدة إنها التوقيع على سندات بيضاء"[1].

فهذه الإجراءات التي فرضت على المواطن أدت إلى الحصار حول الملكية إذ أصبحت تنتقل الملكية من أيدي الجزائريين إلى أيدي المعمرين.

فقد كان الأسلوب المتبع لسحب الملكية هو الفرض الذي يأخذه المواطن الجزائري من الآخر الأجنبي بفائدة 60% إذ قيل:" وكان ذلك سهلا، فالبرجوازي الجزائري من أجل يقيم حفلة زواج، أو الفلاح من أجل أن يشري سيارة " يسترون" ليأتي بها ويقضي سهرة في شارع "إشيل echell" في قسنطينة كان بحاجة إلى المال واليهود كان مستعدا دائما ليقرضه 60% والفائدة المجتمعة بهذه النسبة تنتقل آليا بعد عام أو عامين ملكيتهم من أيديهم إلى أيدي المعمرين"[2]. فهذه كانت ممتلكاته الثقافية التي سمح هو بصياغتها وإبتعادها عنه وذلك بسبب حب المظاهر جلب لنفسه الضياع وسلب حقه في مكتبه.

كما تحدث أيضا في مذكراته على القوانين القمعية الصارمة التي كان نسبها المستعمر على الأهالي من خلال نزع ملكياتهم بالقوة وتمركزها عليها إذ قيل في هذا:" كانت البلدة مركزا كبيرا للمستعمرين، كل شيء فيها يخضع لقانون الإستعمار، فحياة السكان الأصليين كانت نوعا من الإقامة في أرض أجنبية"[3].فممتلكاته التي تميز ثقافته صارت لغيره بالقوة والجبر، إذ لم تعد له ولا جزء من ثقافة التي جرد منها.كما ظهرت ثقافة الملكية أيضا في القاضي الذي يسري أراضي المواطنين المغلوبين بأثمان ليزيد من هكتاراته إذ قيل:" أما القاضي فلم يكن لديه من هدف آخر إلا أن يزيد عدد الهكتارات التي تشريها في منطقة "قالمة"، مواطنه الأصلي في كل عام والموارد التي

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 112

[2] المصدر نفسه، ص 112.

[3] المصدر نفسه، ص 190.

تأتيه خارج مرتبة الرشوات"[1].

فهذه الملكية كانت محددة في شخص واحد يشريها من أهالي منطقة ويتصرف فيها كما يشاء، مما يجعله عاليا فوق كل تصور والتي حددت هويته الثقافية مالكا لأراضي المنطقة ومؤهلا لإدارة شؤونها والتحكم فيها كما يشاء.

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص191.

الخاتِمةُ

الخاتمة:

بعد الخوض في الموضوع واستجلاء الحقائق المعرفية والعلمية الخاصة بالهوية والوطن من خلال مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي، رسمنا خاتمة نخلص من خلالها إلى أن:

- فنون النثر القصصي في الأدب العربي الحديث قد شهدت تطورا كبيرا تبوأت مكانة عالية بين الأجناس الأدبية غير أن هذه الفنون على رأسها السيرة الذاتية ما تزال موضع إشكاليات ومشكلات منذ ظهورها في القرن العشرين، إذ أن هذا الفن لم ينشأ من فراغ وإنما وليد مخاض متعسر مرت به الفنون النثرية وعلى رأسها الرواية.
- إذا كان النقد الحديث قد حدد المجال الأجناسي للسيرة الذاتية باعتباره نوعا من الكتابة المتعلقة بأدب الذات، فإنه لم يحسم نهائيا مسألة تعريف هذا الجنس الأدبي تعريفا علميا دقيقا.
- كما أن هذا الجنس الأدبي يتطلب حضور عناصر محددة وغيابها، أو غياب بعضها يحيلها إلى أجناس أدبية أخرى،أقربها إلى السيرة الذاتية.
- إن تشكيلة نص المذكرات عن مالك بن نبي ينهض على موضوع فني يغاير صورته الكلية للبناء الفني المعهود للمذكرات غير مجموعة من المتفرقات التي تضاهي في تشكلها البصري.
- تبرز السيرة الذاتية بصيغ متعددة وأشكال متنوعة لا تقتصر على مجرد سرد حياة إنسان سردا تسجيليا بل تهدف إلى الإختيار والتركيز ومتابعة خط محدد دي دلالة عميقة في حياة الإنسان وهذا ما عمد إليه مالك بن نبي في مذكراته حين عرض مرحلة الطفولة من حياته.
- كما أن الكاتب هنا لم يقتصر في حديثه في سرد مذكراته وتركيزه على حياته الخاصة، وإنما قرنها بحياة المجتمع وعبر من خلالها عن تطلعاته، فقد تحدث عن حياته وتجاربه مقرونة بالحديث عن الظروف السياسية والاجتماعية خلال فترة الاستعمار.

- كما بين النظام السائد وسوء الأحوال الاجتماعية في مدن وأرياف الجزائر و أعطى مقاربات بين حضارتي الشرق والغرب" الجزائر وفرنسا" وبين صور الوطن من خلال إعطاء صور "المرأة المثقفة، الجزائري والأجنبي".
- كما حددنا الهوية من خلال مقومات وسمات الأمة وأهمها الدين، اللغة، والعادات والتقاليد والملكية.

قائِمةُ المَصادِرِ والمراجِعِ

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

I – المصادر

1. مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، تر. عمر مقساوي، الجزء الأول: الطفل، الطالب، دار الفكر، دمشق، مذكرات شاهد للقرن، الجزء الأول، القاهرة، الجزء (1-2)، 1984.

2. مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013.

II - المراجع

أولا– الكتب

3. إبراهيم نصر الدين، عبد الجواد دبيكي، التعاليق بين الرواية والسير الذاتية، مجلة كلية الآداب، ج36، حلوان يوليو، 2009.

4. ابن الأثير الجزري مجد الدين، جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم،مجلد 9، دار الكتب للنشر والتوزيع، 1998.

5. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق حامد احمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط1، سنة 2004.

6. أبو زيد احمد ، البناء الاجتماعية، مدخل لدراسة المجتمع، دار الكتاب العربي، الجزء الأول ، القاهرة، مصر.

7. إحسان عباس، فن السيرة الذاتية، دار الشروق، دار صادر،ط1، 2011.

8. أحمد أمين، حياتي، مكتبة النهضة المصرية، ط6، مصر، 1978.

9. أحمد بن نعمان ، الردود العلمية على الأطروحات العرقية، وتعدد الهوية في الجزائر، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، ط1 ،2005.

10. أحمد بن نعمان الهوية الوطنية والحقائق والمغالطات، ، د ط، د ت ، دار الآية برج الكيفان، الجزائر.

11. أحمد بن نعمان، هذه هي الثقافة،دار الأمة، الجزائر، د ط، 1996.

12. أحمد سيف الدين، صورة المرأة في روايات د/ شكيب الجابري، مجلة جامعة دمشق، ج 18، ع1، 2002.

13. أحمد عبد الحليم عطيه، " بول ريكور" ، الهوية، والسرد، وتأليف حاتم الروفلي، ط 1، 2009.

14. إدلي، عمر منير، الموقف الأدبي، مسارات التعاليق (السيرة الذاتية/ التاريخ/ الشعر) 471، 472، دمشق، سوريا، تموز 1210.

15. برهان غليون وسمير أمعين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر ودار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت، ط1، 1420ه /1999م.

16. بول ريكور، السرد والهوية ترجمة خالد الورقلين دار التنوير، بيروت، لبنان، 2009 م.

17. بيتر قوزان (Peter cozen) ، البحث عن الهوية وتشتتها عن الحياة إيريك إيركسون وأعماله

18. تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوفان وجبرا إبراهيم جبرا إحسان عباس نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الأردن، ط1، 2002.

19. جورج لارين، أيديولوجيا الهوية الثقافية (الحداثة وحضور العالم الثالث)، تر فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي،القاهرة، ط 1،2002م.

20. حسام الدين علي مجيد، إنبعات ظاهرة الهويات، قراءة في منظور الفكر الكندي تشارلز تايلور، موقع مؤمنون بلا حدود، 22/ 12/ 2016.

21. حسن محمد عبد الغني، التراجم والسيرة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1980م.

22. حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية، دراسة نقدية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

23. حسين عيد، المثقف العربي المغرب، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999.

24. حسين محمود، الصفة الأخرى (دراسات في الثقافة والأدب والنقد)، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2008.

25. دريد بن الصمة، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1.

26. رابح تركي، التربية والشخصية الجزائرية، أكتوبر ،1977.

27. رابح يونسي، وآخرون، رجال لهم تاريخ متبوع بنساء لهن تاريخ، دار المعرفة، الجزائر ، 2010.

28. رياض الجابري، السيرة الذاتية والتراث: " مقاربة نفسية" موافقة وزارة الإعلام ، منشورات دار المعارف، حمص، ط1، 1996

29. سعاد توفيق الرياحي، ظاهرة الأنا في شعر المتنبي و ابي العلاء المعريظ، دراسة موازنة نقدية ، دار حيليس الزمان، عمان، الأردن، ط1، 2012م.

30. سعد فهد الذويخ، صورة الأخر في الشعر العربي من العصر الأموي في نهاية العصر العباسي عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط1 ، 1430هـ / 2009 م.

31. سليم جيهان وآخرون، الثقافة العربية (أسئلة التطور والمستقبل)، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد 29، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ديسمبر، 2003م.

32. السيد عبد الحليم الزيات، المتفقون المصريون بين حدليات النشأة وإشكالية الفعل مجلة الوحدة، العدد 66، مارس، 1990.

33. سيغموند فرويد، الأنا و الهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط4.

34. الشاوي عبد القادر، الكتابة والوجود، السيرة الذاتية في المغرب، المغرب إفريقيا د ط، 2000م.

35. الشريف على بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

36. شعبان عبد الحليم، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار الوراق، ط1، 2015.

37. شوقي ضيف، الترجمة الشخصية، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1998.

38. صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009.

39. صفاء عبد الفتاح محمد المهداوي: الأنا في شعر محمود دروسي (دراسة سوسيوثقافية في دواوينه من 1995-2008)، عالم الكتب أريد، الأردن، ط1، 2013.

40. صلاح صالح ، سرد الآخر (الأنا و الآخر عبر اللغة السردية) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب، ط1 ، 2003 م .

41. ضيف شوقي، الترجمة الشخصية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، د ط، 1998.

42. عباس إحسان، فن الشعر،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط3.

43. عبد الدايم يحي، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث، بيروت، د ط، 1994.

44. عبد السلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية المعاصرة، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1985.

45. عبد السلام الهراس، من رجالات الفكر الذين قدر لهم العيش مع مالك بن نبي فترة من الزمن، وكأن ممن ساهموا في نشر وطبع بعض كتبه.

46. عبد العزيز شرف: آداب السيرة الذاتية ،مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان الجبزة، مصر ، ط1 ،1992.

47. عبد الغني عبود، العقيدة الإسلامية والإيديولوجية المعاصرة سلسلة الإسلام وتحديات العصر، الكتاب الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1998.

48. عبد الفتاح العلمي، واقع ومستقبل المثقف العربي في ظل التحديات التي تعيشها البلاد العربية، تحديات المجتمع العربي.

49. عبد الكافي إسماعيل عبد القباح، التعليم والهوية في العالم المعاصر سلسلة دراسات إستراتيجية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية العدد 66، سنة 2001.

50. عبد اللطيف عيادة، فقه التعيير في فكرة إبن نبي الجزائر، ط2، 2007.

51. عبد الله بن عمر العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

52. عبد المالك مرتاض، الإسلام والقضايا المعاصرة، دار هومة للنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، د ط، 2009.

53. عبد المنعم الحقي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ،القاهرة، ط3، 2003.

54. عبير حسن علام، شعرية السرد وسيميائية في مجاز العسق، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط2، 2012.

55. العروبي عبد الله، ثقافتنا في ضوء التاريخ، دار التنوير بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1983.

56. عز الدين مناصرة، الهوية والتعددية اللغوية قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للطباعة والنشر، عمان، الأردن،ط1، 2004.

57. علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2004.

58. العيساوي ريم، فدوى طوقان، نقد الذات، قراءة السيرة، الدار المصرية، اللبنانية، القاهرة، د ط، 1998.

59. غدير بوشعير، المرأة في أدب توفيق الحكيم، الأهالي للطبع والنشر، دمشق، ط1، 1996.

60. غور بونوف، في الثقافة (مساهمة بنين في تطوير النظرية الماركسية في الثقافة)، تر: يوسف حلاق، دار الفرابي، بيروت، ط1، 1982.

61. فاضل احمد القعود، جدلية الذات و الآخر في الشعر الأموي لدراسة نصية ، دار عيداء للنشر و التوزيع، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1433 هـ / 2012 م .

62. جان بول سارتر: دفاع عن المثقفين، ترجمة جورج طرابشي، مقررات دار الأدب، بيروت،ط1 ،1973.

63. فتحي المسكيني: الهوية والزمان، تأويلات، فينومينولوجية، لمسألة " النحن" ، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط1، 2001.

64. فهمي ماهر حسن، السيرة تاريخ وفن، دار القلم الكويت ط2، 1983.

65. فوزرية الصفار الزاوق: من الكتابات عن الذات في الأدب العربي الحديث السيرة والمذكرات نموذجا، المغاربية للطباعة والإشهار، ط1، 2003.

66. فيصل عباس، الاغتراب (الإنسان المعاصر و شقاء الوعي)، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط 1 ، 1429 هـ / 2008 م.

67. فيصل عباس، الإغتراب الإنسان المعاصر و شقاء الوعي.

68. فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ترجمة عمر علي ، المركز الثقافي العربي، ط1، لبنان، 1994

69. قنان جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة الجزائر، 1994.

70. كريم زكي حسام الدين، اللغة والثقافة (دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقة القرابة في الثقافة العربية)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،مصر، ط2، 1421هـ /2010م

71. ماجدة حمود، إشكالية الأنا والأخر ، نماذج روائية، عالم المعرفة، دولة الكويت، دط، 1434 هـ/ 2013م.

72. ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 1431هـ /2010م.

73. محمد ابراهيم العيد، الهوية والقلق والابداع، دار النشر، ط1 ،2002.

74. محمد أحمد بيومي، القيم وموجهات السلوك الإجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 2003م.

75. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية،ط1.

76. محمد الخباز . صورة الآخر في شعر المتنبي (نقد ثقافي المؤسسة العربية للدراسات و النشر . بيروت لبنان – ط1 . 2009.

77. محمد الداهمي، صورة الأنا والآخر من السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013م.

78. محمد بوعزّة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم،ط1 ، منشورات الإختلاف، الدار العربية للعلوم، دار الأمان، الرباط، 2010.

79. محمد صابر عبيد، تمظهرات التشكل السير ذاتي، قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية ، دار الكتب الحديثة للنشر و التوزيع ،الأردن .

80. محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، قراءة في التجربة السيرية، شعراء الحداثة العربية، عالم الكتب الحديث، أربد، العراق، ط1، 2008.

81. محمد عابد الجابري: المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، كانون الثاني، يناير، 2000.

82. محمد عابد الخابري، مسالة الهوية العروبية و الإسلام والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت،ط1، 1997

83. محمد عبد الرؤوف عطية، التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع ،ط1 ،2009.

84. محمد عبد الله الجريبيع، مدخل لدراسة الهويات الوطنية، دراسة سوسيولوجية لحالة الهوية الأردنية.

85. محمد نور الدين افاية . الهوية و الإختلاف (في المرآة الكتابة و الهامش) .

86. مراد وهبة، المعجم الفلسفي (معجم المصطلحات الفلسفية) دار قياء الحديثة . القاهرة، 2007.

87. المصطفى الشاذلي، ظاهرة الإغتراب في النقد العربي، ص 125، نقلا عن ابن خلدون، المقدمة تح: أبو عبد الله السعيد المشدوه،مجلد 2، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1.

88. موسى لحرش، إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي مختبر التربية بعناية، الجزائر،2006.

89. موسى معريش، جدل الديني والسياسي في اليهودية والإسلام بين المقدس والمدنس، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2010م.

90. نجم عبد الله كاظم نحن والآخر في الرواية العربية، دار ألفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.

91. نهال مهيدات : الأخر في الرواية النسوية العربية في خطاب المرأة والجسد والثقافة ، عالم الكتب الحديث، أريد ، الأردن، ط1 ، 1428 هـ / 2008م.

92. نور الدين آفاية، الغرب المتخيل لصورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

93. نور الدين افاية، الهوية والاختلاف في المرأة الكتابة والهامش، إفريقيا ، الترف، الدار البيضاء.

94. هادي العلوي، فضول عن المرأة، دار الكنوز الأدبية بيروت، لبنان، ط1، 1997.

95. يحي ابراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1975.

96. اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة على وطنه، دار النشر العربية، ط1، 1993.

97. جلبير غرانغيوم، اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، تر: محمد أسليم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2011م.

ثانيا– المعاجم

98. إبراهيم بيومي مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة، شؤون المطابع الأسرية، القاهرة، 1983.

99. احمد زكي بدوي، معجم المصطلحات والعلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، سنة 1977.

100. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مادة صور، ج2، دار العلم للملايين.

101. بول أزون وآخرون، معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة، محمد محمود مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1912.

102. الفيروزبادي: قاموس المحيط، تح التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 ج2، 1987.

103. محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور: لسان العرب ج1، دار الكتب العملية بيروت، لبنان، ط4، 2003.

104. مرتضى الزبيدي، تاج العروس: من جواهر القاموس، مادة سير ، مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان، ج1،ط1.

105. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، توزيع المكتبية الشرقية، بيروت، ط1، 2000.

ثالثا– المجلات والدوريات

106. عبد العزيز شويط: مؤثرات المكان الهجري في لدى السيرة والمذكرات عبد الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة آفاق من العلوم، جامعة زيان عاشور ، الجلفة، العدد السابع، مارس 2017.

107. نخبة من أستاذة ، الأدب والأنواع الأدبية ترجمة طاهر خمار، دار طالس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا،ط1، 1985.

رابعا– المذكرات والرسائل

108. حسين موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية فترة 2005.

خامسا– المحاضرات

1. بغدادي خيرة، الهوية الاجتماعية، محاضرات الدكتورة بغدادي خيرة.

سادسا– المواقع الاكترونية

1. http://www.helwan.edu.org
2. www.algera.com
3. www.berber.ahlamontada.com

الملاحق

الملاحق:

الملحق 1: قراءة في حياة "مالك بن نبي":

لقد عرفت الجزائر عبر تاريخها العريق الكثير من العلماء والمفكرين الذين صنعوا أمجاد الأمة فكان لهم أثر بالغ في بعث نهضتها الثقافية والفكرية والتصدي لمشروع المستعمر الأوروبي الرامي للقضاء على هوية الشعب الجزائري والقضاء أيضا على كيانه خاصة مع مطلع القرن العشرين فلقد تسلحوا بالروح والتورية الإسلامية سواء في الفكر أو العقيدة أو السياسة وذلك من أجل النهوض بمجتمع أثرت فيه الظروف القاسية التي فرضها الإستعمار.

فنجد من أبرز هؤلاء المفكرين "مالك بن نبي" الذي يعتبر مفكر وفيلسوف، مؤرخ وعالم إجتماعي جزائري، فقد تكون مهمة تقديم لمحة واضحة عن مالك بن نبي ليست مهمة سهلة وذلك راجع إلى ندرة الوثائق التي يمكن الاعتماد عليها في ذلك فالمصدر الوحيد الذي استطعنا الحصول عليه هو سيرته الذاتية التي تجسدت في كتابه "مذكرات شاهد للقرن" ففي هذا الكتاب درست حياته وانتاجه الفكري واهم المحطات التي ركز عليها والتي كانت مثيرة وذلك بخصوص كونها مذكرات شخصية لمالك بن نبي أم أنها تعود إلى شخص آخر من معاصريه كما مكتوب في مقدمة الكتاب حين قال: "من عادتي في بعض الأحيان أن أودي صلاة العصر في المسجد حينما يخلوا من الذين أذكروا الصلاة وراء الإمام في وقتها –كان ذلك في مسجد قسنطينة المسترجع- بعد سنة من تحرير الجزائر- وبينما أنا في سجود هذه الركعة تناهى إلى سمعي وقع خطوات على السجادة وما إن اقترب صاحبها مني حتى انسحب إلى الوراء- فرأيت على مقربة ركبتي ربطة حسنة التغليف"[1] فهو هنا يسرد لنا كيفية وصول ربطة الورق إليه أثناء صلاته " صلاة العصر" فقال: " ماذا في هذه الربطة؟ (...) ما أن لمستها حتى تبينت أنها كانت تظم أوراقا، فنزعت عنها الغلاف الخارجي إنها صفحات مكتوبة بخط دقيق لكنه مقروء جيدا،

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص 13.

وعلى الصفحة الأولى رأيت العنوان "مذكرات شاهد للقرن" (...) قرأت صفحة ثم أتبعتها بأخرى، إنه شيء مثير فكل جزائري يحسب الكتابة من أبناء جيلي يستطيع أن يكتب مثلها، ليدواته واحد من مواليد قسنطينةومن مواليد سنة 1905 إدن من أبناء جيلي هذا كل ما في الأمر"[2].

فالدارس لمقدمة هذا الكتاب سوف يلاحظ التطابق التام بين ما ذكر في هذه المذكرات من أحداث وأماكن وتواريخ وما ذكره في مؤلفاته الأخرى بالإضافة إلى ما صرح به بعض معاصريه من مفكرين من أمثال عبد السلام الهراس* وعمر كامل مقساوي* يقرون في شهاداتهم ومؤلفاتهم بخصوص حياة مفكرنا مالك بن نبي في مذكرات شاهد للقرن، ينفي تماما الشك ويؤكد علاقته المباشرة بها، فهذه المذكرات تتوقف إحداثها في عام 1939م اضطررنا للاستعانه لدراسة حياته وتقديم لمحة موجزة عن مختلف محطات حياته.

أ.مولده ونشأته:

هو الصديق بن الحاج عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي[3] ولد في قسنطينة في 5 دو القعدة 1/1323 يناير 1905 وهو الإبن الوحيد في اسرته الفقيرة بالإضافة إلى ثلاثة بنات توفيت إحداهن وهو صغير عمل أبوه موظفا بسيطا في الإدارة الحكومية يتبسة برتبة خوجة بينما كانت أمه السيدة زهيرة حواس بنت محمد تساعد والده في تحسين دخل البيت عن طريق العمل في الخياطة[4] دخل مالك بن نبي إلى المدرسة الإبتدائية الفرنسية الوحيدة بتبسة يقول ملك بن نبي في هذا الصدد "لقد ارسلوني إلى المدرسة الفرنسية إلا أنني في الوقت

---

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق، ص 14.

* عبد السلام الهراس، من رجالات الفكر الذين قدر لهم العيش مع مالك بن نبي فترة من الزمن، وكأن ممن ساهمو في نشر وطبع بعض كتبه.

* عمر كامل مقساوي: صديق بن نبي، ومترجم معظم كتبه بعد أن عهد إليه بالوصاية على تراثه المكتوب باللغة العربية، له عدة كتب منها، نظرية في الفكر الإسلامي ومالك بن نبي 1979، حول فكر مالك بن نبي 1985، نشر وطبع بعض كتيه.

[3] عبد الله بن عمر العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 51.

[4] حسين موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية غزة 2005، ص 28.

نفسه ثابرت على التردد على مدرستي القديمة لتعلم القرآن، فكنت اقصدها كل يوم في الصباح الباكر لأكون فيها بعد الثامنة صباحا في المدرسة الفرنسية"[5].

وفي سنة 1921-1922 كانت السنة الأولى في المدرسة الثانوية لمالك بن نبي حيث كانت هذه المرحلة ثرية ومفيدة له في توسيع مداركه عن طريق قراءته الكثيرة للكتب القديمة والحديثة ومتابعة للصحف التي زودته بمعرفة الواقع الإجتماعي والفكر الإصطلاحي.[6]

وبعد إجتيازه لإمتحانات السنة الدراسية 1924-1925 وتخرجه بنجاح قرر الإنتقال إلى فرنسا مع زميله لإيجاد عمل لكن الحظ لم يناسبهما هناك فعاد إلى الجزائر"[7]

ولما بلغ السن الإثنان وعشرون عمل بوظيفة "عون في القضاء" في شهر مارس 1927، في "أفلو" مكتب فيها سنة كاملة يعمل في محكمتها وبعد ذلك عاد إلى مدينة "تبسة"حيث وقعت الأزمة الاقتصادية سنة 1929 فاقترح عليه والده أن يسافر إلى باريس"[8]

سافر بن نبي في شهر سبتمبر 1930 حيث كانت هذا المرحلة للدراسة بخلاف الرحلات السابقة التي كانت بحثا عن العمل، اكتشف معهد الدراسات الشرقية سجل فيه للنجاح، لكن النتيجة كانت عكس ما توقع، لم ينجح لسبب واحد أنه مسلم ومن الجزائر.

كما سجل في مدرسة (الكهرباء والميكانيك) أنهى الدراسة بها ولكنه لم يحصل على شهادة مهندس كهربائي لأسباب استعمارية"[9]

---

[5] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، تر. عمر مقساوي، الجزء الأول: الطفل، الطالب، دار الفكر، دمشق، مذكرات شاهد للقرن، الجزء الأول، القاهرة، الجزء ((1)-2)، 1984، ص 24.

[6] رابح يونسي، وآخرون، رجال لهم تاريخ متبوع بنساء لهن تاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 98.

[7] موسى لحرش، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي مختبر التربية بعناية، الجزائر،2006، ص 29.

[8] المرجع نفسه، ص 35.

[9] حسن موسى العقبي،مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، المرجع السابق، ص، ص 95، 96.

عرض مالك بن نبي العمل في نادي المؤتمر الإسلامي الذي سمح له بترجمة أفكاره التي كانت مشحونة بكل ما يؤمن، لكن بعد فترة من النشاط بالنادي ورد إليه من مفتش "أكاديمية مرسيليا" يخبره أن نشاطه بالنادي محضور وذلك لأن ليس له شهادة تسوغ له التدريس"[10]

قام مالك بن نبي بعد محاولات للهجرة أولها إلى السعودية للاستقرار في مدينة الطارف، بعد حصوله على جواز السفر عطل قنصل السفارة المصرية سفره إلى السعودية لنفس الأمر مع مصر وأفغنستان وألبانيا"[11]

استعان برجال الثورة في وصوله إلى مصر وبالضبط في القاهرة سنة 1956 وهناك بدأ يتعلم إتقان اللغة العربية وبدأ يحاضر ويكتب.

ب. جهود وآثاره الفكرية:

1- الظاهرة القرآنية: ظهرت سنة 1946م في الجزائر

2- لبيك رواية ظهرت سنة 1974م في الجزائر.

3- شروط النهضة ظهرت سنة 1948م في الجزائر.

4- وهمية العالم الإسلاميظهر سنة 1954م باريس

5- فكرة الإفريقية الأسيوية ظهرت سنة 1956م القاهرة

6- النجدة ظهر سنة 1957م بالقاهرة.

7- حديثا في البناء الجديد سنة 1959م القاهرة.

8- مشكلة الثقافة ظهرت سنة 1959م بالقاهرة.

9- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ظهر سنة 1960 بالقاهرة

10- الصعوبات علامة النمو في المجتمع العربي.

---

[10] موسى لحرش، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الاسلامي في فكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 118.

[11] عبد الله بن عمر العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، المرجع السابق، ص 122.

11- الإستعمار يلجأ إلى الإغتيال بوسائل العلم.

12- فكرة كومنويلت الإسلامي.

13- تاملات في المجتمع العربي

14- في مهب المعركة

15- ميلاد المجتمع.

16- آفات جزائرية.

17- مذكرات شاهد للقرن (القسم الأول) 1965م بيروت

18- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث.

19- مذكرات شاهد للقرن القسم الثاني 1970 بالجزائر

20- مشكلة الأفكار العالم الإسلامي، 1972 بالقاهرة

21- المسلم في عالم الاقتصاد 1972 بيروت

22- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن 20.

23- سنة 1977 م بيروت

24- بين الرساد والنية ظهرت سنة 1978 م بطرابلس

- بالإضافة إلى مجموعة من المؤلفات والمخططات لم تظهر[12]

[12] عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكرة إبن نبي، الجزائر، ط2، 2007، ص ص30، 31

الملحق 2: ملخص الكتاب:

لقد أجتهد مالك بن نبي في دراسة الأحداث التاريخية العالمية والوطنية رغم الظروف القاسية التي كانت تحيط به إلا أنه استطاع أن يشخص لنا العديد من الأزمات والمشكلات التي مست بالعالم الإسلامي وامتداده إلى حدود الحضارة الغربية فحاول أن ينقل لنا تبصره أو مشاهدته بالأحداث، برؤيتة الفكرية، فهو يحدثنا عن تلاقي بين حضارة مندفعة تحتاج ما أمامها و امة اسلمت مقاليدها للتاريخ وغذت أجيالها في مهيب الريح وأيضا تشخيصة للعلل التي تسببت في نكبة العالم الإسلامي وانتجت حالة القابلية للاستعمار فالجزائر هي عينة من عينات العالم الإسلامي التي غذت اشلاء مبعثرة هنا وهناك لا تصمد أمام طوفان الحضارة الغربية فهنا ينقل إلينا بعض الصور التي شاهدها في أجيال الجزائريين من ابناء جيلة، فقد ارتبط أيضا بموقع جغرافي شامل إذ رغم انتمائه إلى الجزائر إلا أن أفكاره كانت ممتدة على العالم.

فلقد ركز مالك بن نبي على تحديد أوضاع مجتمعه من عادات وتقاليد كانت سائدة في مجتمعه من خلال توضيحها بدقة وتحليل الواقع مستخدما منهجه الفكري إذ قدم نظريات وشهادات حول مجتمع مغلوب على امره ارتست عليه حضارة الغرب الحديثة من مصطلحات ومفاهيم ومنجزات تروي عن مسيرته الانسانية، فمالك بن نبي يبرز في مدكراته أهم القيم الإنسانية التي ما يزال يحتفظ بها بعض الرجال من موروثهم للتراث والقيم من أجيال سابقة كما يبرز تهافت مثقفينا الذين انغمسوا في الثقافة الغربية من حيث الواقع أو المصطلحات إذ اتخذوا من السياسة سبيلا في القيادة تاركين حركتهم التقديمية إلى الوراء كما يتحدث ايضا عن الإنحطاط الإجتماعي الذي كان يسود بعض المجتمعات، كدلك الإنحطاط الإقتصادي أيضا الذي يكشف هاجسه العميق ومكونات هذه الفكرة التي رافقته طيلة حياته.

فهذا الهاجس تجسد في مذكراته التي يروي فيها ويسرد شهادته ملتزما بالأساس الفكري للنهضة والصدق والكفاح والعزيمة والتبليغ كما شاهد في منعطفات حياته عبر التاريخ ورؤية فكره وروحية معا، في صياغته لوضوح المعالم.

فهْـرسُ

الموضُوعَاتِ

– فهرس الموضوعات–

الموضوع	الصفحة
البسملة والدعـاء	
شكر وعرفان	
إهــداء	
مقدمـة	أ –ج
الفصل الأول: قراءة في المصطلحات	
المبحث الأول: في تحديد مفهوم السيرة الذاتية وباقي الأجناس	05
1– مفهوم السيرة	05
أ. السيرة لغة	05
ب. السيرة في الاصطلاح	06
2– مفهوم السيرة الذاتية	09
أ. السيرة الذاتية لغة	09
ب. السيرة الذاتية اصطلاحا	09
ج . السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم	13
د. السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث	15
هـ. السيرة الذاتية في الأدب الغربي القديم	16
و. السيرة الذاتية في الأدب الغربي الحديث	18
3– مفهوم المذكرات	19
4– مفهوم اليوميات	21
5– مفهوم الاعترافات	22
6– مفهوم التاريخ	23
المبحث الثاني: علاقة السيرة الذاتية بالأجناس الأخرى	25
1– بين السيرة الذاتية والمذكرات	25
2– بين السيرة الذاتية والسيرة	28
3– بين السيرة الذاتية واليوميات	29

4- بين السيرة الذاتية والاعترافات	30
5- بين السيرة الذاتية والتاريخ	30
المبحث الثالث: حول الهوية	33
1-مفهوم الهويــة	33
أ. الهوية لغة	33
ب. اصطلاحا	35
ج. الهوية من المنظور الفلسفي	36
د. الهوية من المنظور الاجتماعي	38
هـ. الهوية من المنظور السيكولوجي (النفسي)	41
2-أنواع الهوية	43
أ. الهوية الفردية (الشخصية)	43
ب. الهوية الوطنية (القومية)	44
الفصل الثاني: تشكل الهوية الوطنية من خلال مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي	47
المبحث الأول: تجليات الهوية الوطنية من خلال صورة الوطن" الأنا والآخر" في مذكرات "مالك بن نبي"	47
الصـورة	47
الأنا والآخر	49
أ. الأنا	49
ب. الآخــر	51
1- صورة الأنا الجزائري	52
أ. صورة الجزائري المنتمي	53
ب. صورة الجزائري اللامنتمي	58
2- صورة الآخر الأجنبي "المستعمر"	59
أ. صورة الأجنبي الإنساني	60
ب.صورة الآخر الأجنبي الإستعماري "العدائي"	62

3- صورة الأنا الأيديولوجي	66
4- صورة المرأة	79
أ. صورة المرأة المتضررة	81
ب. صورة المرأة الساردة	82
ج. صورة المرأة الأم	83
د. صورة المرأة المساندة	85
هـ. صورة المرأة المثقفة	86
و. صورة المرأة العاملة	88
5- صورة المثقف	89
أ. صورة المثقف الفرنكفوني	92
ب. صورة المثقف المعرّب(العربي)	94
المبحث الثاني: تمثلات الهوية الثقافية من خلال مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي	99
1- ثقافة المجتمع	100
2- ثقافة اللغة	107
3- ثقافة الدين	111
4- ثقافة الملكية	116
الخاتمة	121
قائمة المراجع	124
الملاحق	
فهرس المحتويات	

الملخص:

يعد موضوع السيرة الذاتية من أهم المواضيع التي استقطبت العديد من الدراسات الحديثة ذات الطبيعة الأدبية التي احتلت مكانا بارزا بين النقاد المعاصرين الذين اعتمدوا في كتاباتهم على تدوين الوقائع ، تم صياغتها في قالب سردي. فهي تعتبر من أهم المواضيع الأكثر تعبيرا وأشدها استعصاء، إذ تسعى مثل هده المواضيع إلى تسليط الضوء على بعض الجوانب التي تلامس عمق الإنسان مجسدا بتجربته الذاتية في الحياة المشكلة تشكيلا فنيا بما يتناسب ومتطلبات السرد والتخيل، فالسيرة الذاتية كثيرا ما تتداخل مع الأجناس الأدبية كالمذكرات واليوميات وغيرها.

ويعتبر أدب المذكرات جنسا من أجناس السيرة الذاتية التي تبرز فيها بجلاء إشكالية الهوية، وهذا ما تطرقنا إليه في دراستنا من خلال نموذج تطبيقي تمثل في مذكرات مالك بن نبي " مذكرات شاهد للقرن" التي درسنا فيها صورة الأنا والآخر، ومختلف التمثلات الثقافية التي تتجلى من خلالها الهوية بمختلف مقوماتها الأساسية والمتمثلة في الدين واللغة والعادات والتقاليد والانتماء الحضاري.